الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية والحلول التهريجية

THE SYRIAN REVOLUTION
AND THE FANNY SOLUTIONS
Historical And
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

دراسات سياسية

2015

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية والحلول التهريجية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية والحلول التهريجية

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

☆ الكتاب : **الثورة السورية والحلول التهريجية قراءة سياسية.**

☆ الموضوع: **دراسات سياسية.**

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ عدد الصفحات: ١٧٢ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: **العالم العربي للنشر.**

☆ **عمان.**

☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٥م.**

☆ **تاريخ: ٢٠١٥/١١/١ م.**

☆ تصميم الغلاف بريشة بيلسان.

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.

☆ بريد إلكتروني : **sameah3@gmail.com**

الإهداء

إلى الثورة السورية

التي عمّرت الجميع تماماً

مُقدِّمة الكتاب

الحقيقة المرة التي يجب أن نبدأ ويجب أن تكون واضحة أن الحلول التَّهريجيَّة التَّحشيشيَّة السِّرياليَّة الهذيانيَّة ليست جديدةً أبداً لقد رافقت الثَّورة منذ بدايات طرح الحلِّ السياسي بعد لعبة خبيثة مورست بمؤامرةٍ صريحةٍ أسقطت استخدام لفظ الثَّورة واستخدمت عوضاً عنه لفظة الصراع السُّوري ولهٰذا ما كان في مطالع الثَّورة وقبل تسلح الثَّورة بوقت غير قصير.

منذ كانت الثَّورة سلميَّة ولا وجود للسلاح فيها كان الدفع باتجاه الحل السياسي... وبرز ذٰلكَ بوضوح صريح أول ما برز في مبادرة الجامعة العربيَّة في الربع الأخير من عام ٢٠١١م.

الدول العربيَّة ودول خليجيَّة بعينها هي التي قررت منذ بداية الثَّورة قيادتها باتجاه الهزيمة والمناداة بالحل السياسي تمييعاً للثَّورة خطوةً خطوةً... أرادوا استنساخ الحل اليمني الذي كان قائماً منذ فترة علىٰ أساس أنَّهُ نهاية سلميَّة، في أنَّهُ هزيمة للثَّورة وقضاء عليها بالتفاف خبيث كما

حدث في اليمن من أجل القضاء علىٰ فكرة انتصار الثَّورة... لا يريدون أن تنتصر ثورة في العالم العربي مهما كلفهم الأمر من ثمن؛ الثَّمن دماء الأبرياء بالتأكد وليس دولارات فقط.

ومع ذَلكَ كانت المبادرة العربيَّة علىٰ قسوتها وهزليتها ونواياها الخبيثة تقوم علىٰ شيء من المنطقيَّة قليل قليل جدًّا بالمقارنة مع مسلسل المبادرات والاقتراحات والحلول السياسيَّة التي جاءت منذ ذَلكَ التاريخ.

بل الطريف والأكثر طرافة أنَّ كل حلٍّ يأتي يأتي بمزيد من السفاهة والتفاهة ومفارقة المنطق ومفارقة الأخلاق وهٰذا كله في كفَّة، وعدم قيامه علىٰ أدنى اقتراب من الواقع والتَّحليل الواقعي لما هو قائم علىٰ الأرض في كفة أُخْرَىٰ.

المشكلة ليست في فكرة الحل ومن ثمَّ الحلول المشكلة في الحل المقترح ذاته الذي لا يمكن تحقيقه، ولا يمكن تطبيقه، ولا يمكن صموده... بل ولا يمكن قبوله بحال من الأحوال.

منذ عام ٢٠١٢م كانت الحلول المقترحة تدل دلالة صريحة علىٰ أنَّ من اقترحها أو قدمها إمَّا أجدب أو أهبل أو حشاش أو أنَّهُ يخطط بذكاء للإيقاع بَيْنَ الطَّرفين ودفع عجلة القتل التَّشريد والتَّدمير إلىٰ الأمام. وهٰذا ما يبدو هو الأرجح؛ ثَمَّة ألعاب تجري في الخفاء، هي لا يعنيها الأسد أو النِّظام كما توحي، ولا تعنيها الثَّورة كما توحي، وإنَّما غايتها تدمير ما يمكن تدميره في سوريا من كل شيء... وسار الجميع إلىٰ الفخ: طرفا سوريا والأطراف التي تتلاعب بالثَّورة. وسيدفع الجميع الثَّمن.

قلت وكررت مراراً منذ البداية: ابتعدوا عن أمريكا فإن ما يحدث هو الفرصة التاريخية لها لمسح سوريا أرضاً وشعباً عن وجه الأرض... فرصتها التاريخية

التي لن تتكرر أبداً... فلا تعطوها الفرصة... ولٰكن للأسف الشَّديد اندفع الجميع؛ الثَّورة والنِّظام للارتماء في حضن أمريكا والإصغاء إلىٰ توجيهاتها ونصائحها إما في الحضن الأمريكي مباشرة أو حض الوكلاء في الخليج والمحيط. ووصل الأمر بالطَّرفين إلىٰ فقدان زمام السَّيطرة أو المبادرة، تحوَّلا إلىٰ أحجار شطرنج بيد أمريكا ووكلائها.

وماذا سيكون بعد ذٰلكَ؟

هٰذه المقدمات لا يمكن أن تقود إلىٰ نتائج مختلفة أو تطورات في الحلول المقترحة... بل سيصل الأمر إلىٰ تكريس الأسد ونظامه والعمل علىٰ ذٰلكَ...

أختم هٰذه مقدِّمة هٰذا الكتاب بما ختمت به العام الماضي عام ٢٠١٤م تحت عنوان «خلص الكلام»، وأعدتُ نشره وتوضيحه في الخامس من الشَّهر الأوَّل من هٰذا العام، كتبت:

عندما كتبت: خلص الكلام

عنيت أنَّ كلَّ ما يجب أن يقال قد قيل.

وكرَّرته الأقلَّ أهميَّة مرَّاتٍ عدَّة، والمهمُّ منه كرَّرته بأكثر من أسلوبٍ كثيراً من المرَّات...

وما تبقَّىٰ ليس إلا تنويعات علىٰ ما قد سبق...

وظلَّ النِّظام وورثة الثَّورة ماضون في القتل والتَّدمير والتَّشريد...

قاتلهم الله جميعاً وخلصنا منهم جميعاً.

وحَتَّىٰ هٰذا الكلام قلته منذ نحو عامين مرَّاتٍ عدَّة.

والحقيقة الأكيدة هي أنَّ كلَّ ما يتعلَّق بالثَّورة من مختلف الجوانب والعلاقات والتَّفاصيل والآفاق قد قلته في السَّنة الأولىٰ من الثَّورة وقد

نشــرته في سلســلة كتــب في العــام الماضــي تحــت عنــاوين مختلفــة تبعــاً للموضــوع، وكــل مــا كــان بعــد ذلــكَ هــو إعــادة تــذكيرٍ وتكــرارٌ بأســاليب أُخْرَىٰ وتحققات للتوقعات.

ووصلنا إلىٰ ما حذَّرت منه مراراً وتكراراً وهو الفوضى وفقدان السَّيطرة. نحن الآن في مرحلة فقدان السَّيطرة علىٰ أيِّ شيء ...لا أحد يسيطر علىٰ شيء في سوريا... ومصائب أُخْرَىٰ قادمة ستزيد الأمر تعقيداً من جهة وستفجر الوضع أكثر، إذا تدارك العابثون الأمر سيولد أفق الحل أولاً ثم ربما الحل... وإلا ستولد مأساةٌ أكبر وأشدُّ وأوسع مدًىٰ بكثيرٍ مما هي عليه بل ومما يتوقعه الأكثر تشاؤماً.

عزت السيد أحمد

الفصل الأول

مصائب الثورة السورية الخمس

مع دخول الثَّوْرَة السُّوريَّة عامها الخامس[1] في ظاهرةٍ تاريخيَّةٍ شبه غير مسبوقةٍ في تاريخ الثَّورات في العالم المعاصر والوسيط والقديم من يوم آدم إلىٰ يومنا هٰذا. مع هٰذا المعطىٰ التَّاريخي نلقي ضوءاً علىٰ مصائب الثَّوْرَة السُّوريَّة منذ انطلاقتها إلىٰ دخولها عامها الخامس.

من باب سهولة الأمر بعد إدراكه سيقول الكثيرون نعرف هٰذه المصائب، وبعضهم سيقول نعرفها منذ زمنٍ بعيدٍ. ومحض مثل هٰذا

(١) .كتب هٰذا المقال في ٣/١٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها، ونظراً لدخول مادة هٰذا الفصل/ المقال في أكثر من كتب من سلسلة كتب تتبع الثورة في مختلف أبعادها فقد تم إدراجه فصلاً أولاً في هٰذه الكتب وهي: الثورة السورية والحلول التهريجية، الثورة السورية وأزمة القيادة، الكل يطلق النار علىٰ السوريين وثورتهم.

التَّعليق يدلُّ علىٰ سوء تقدير استمراراً لسابق سوء الفهم والتَّقدير، وخاصَّة إذا صَدَرَ عن قيادات ثوريَّة من أيِّ نوعٍ أو مستوى، وخاصَّة أيضاً إذا صدر عن الذين رافقوا الثَّوْرَة علىٰ الفضائيَّات تحليلاً وتنظيرا علىٰ مدار السَّنوات الأربع المنصرمة. لأنَّ السُّؤال الذي سَيَسْفَعُ تعليقهم علىٰ الفور هو:

. إذن لماذا طوال السَّنوات الأربع المنصرمة كنتم تقولون وتخطِّطون وتفعلون وتمارسون كلَّ ما هو عكس هٰذه الحقيقة؟

للضَّرورة أتحدَّى من يدَّعي أنَّهُ كان يدرك أو يفهم هٰذا الحقائق أن يبرهن ذٰلكَ بسلوكٍ سابقٍ أو تعليقٍ أو تحليلٍ علىٰ مستوىٰ منذ بدء الثَّوْرَة إلىٰ ما قبل أشهرٍ قليلةٍ. راجعوا من فضلكم اللقاءات التِّلفزيونيَّة والتَّنظيرات فكلُّ شيء مسجَّلٌ للجميع علىٰ مدار ما سبق من عمر الثَّوْرَة... الجميع أعني المحللون والمنظِّرون والمتفلسفون والقيادات من مختلف المستويات. وإذا كان ربُّ البيت ضارباً بالطَّبل فشيمة أهل البيت كلِّهم الرَّقص.

ومع ذٰلكَ، ومع انكشاف كلِّ الحقائق بطريقةٍ مفجعةٍ وكارثيَّةٍ ستجد هٰؤلاء أنفسهم مصرين علىٰ السَّير علىٰ عكس ما انكشف من الحقائق انكشافاً لا يقبل الشَّك... وهٰذا السَّير بالمقلوب أمرٌ واقعٌ الآن بكلِّ فجاجةٍ وغلاظة. يعني ليست المسألة مسألة توقعات أو تنبؤات أو تشاؤم. وهٰذا وحده أمرٌ مثيرٌ للريبة نظريًّا.

لم يكن من بُدٍّ من هٰذه المقدمة لأنَّ التقريع علىٰ هٰذه الحقائق، علىٰ هٰذه المصائب قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ من دون أن يقبل أحدٌ الالتفات إليها أو الاقتناع بها. هٰذا ليس تناقضاً مع ما سبق.

حسناً، ما المصائب الخمس هٰذه؟

تنقسم المصائب إلىٰ قمسين ثلاثة واثنين. الثَّلاثة هي القسم الدَّاخلي وهي العامل الحاسم والأساسيُّ مهما بلغت فاعلية الطرف الخارجي، والقسم الثاني هو القسم الخارجي. وهٰذه المصائب هي التالية علىٰ ترتيب الأهميَّة:

أولاً: النِّظام

مهما كانت الوعود والإغراءات من أيِّ طَرَفٍ داخليٍّ أو خارجيٍّ النِّظام هو المسؤول الأوَّل والأخير عن مأساة سوريا أرضاً وتاريخاً وشعباً.

يجب أن يدرك الجميع أنَّ النِّظام لم يفعل غير ما قد يفعله أيُّ نظامٍ يثور عليه شعبه. هٰذا ليس دفاعاً عن النِّظام ولا تسويغاً لما فعل. لأنَّ المشكلة الأساسيَّة والجوهريَّة ليست هنا تحديداً. المشكلة في حقيقة الأمر هي في أنَّ النِّظام كان عاجزاً في كلِّ مراحل الثَّوْرَة عن استيعاب التَّطوُّر التَّاريخي وفهم الحدث والعجز من ثمَّ عن اتخاذ الإجراء اللازم المناسب. في كلِّ مراحل الثَّوْرَة كان يمكن للنِّظام أن يضع حدًّا لشلال الدم والدمار والخراب والتشريد وإعادة القطار إلىٰ السكة. ولٰكنَّهُ في كلِّ المراحل كان يختار الخيارات الخطأ ويدافع عن الخطأ بخطأ فيولد خطأ جديداً ومصيبة جديدة، وهٰكذا.

النِّظام لم يقبل النَّصيحة ولم يعمد إلىٰ المشورة وكان لا يستشير ولا يفوض أمر التَّدبير إلا إلىٰ الأشخاص الخطأ في الوقت الخطأ والمكان الخطأ. ولذٰلك وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ومن ثَمَّ فإنَّ كلَّ سلوكات النِّظام من أدناها

إلىٰ أعلاها تُفهم من خلال هٰذه البنية، ومنها أنَّهُ لم يفتح أيَّ باب للحوار الجديِّ مع زعمه القيام بذٰلكَ، بل مع قيامه بتمثيليات حواريَّة زعم أنَّها الحوار. ولا أطيل في ذٰلكَ فقد كتبت فيه الكثير الكثير منذ أول الثَّوْرَة إلىٰ يومنا مما كان مادة كتابٍ كاملٍ.

علىٰ أيِّ حال، في ظلِّ المعطيات الراهنة يمكنني القول النِّظام وحده يملك الحل؛ إمَّا أن تستمرَّ المأساة عشرات السِّنين أو أن ينهيها. ولٰكن بكلِّ تأكيدٍ ليس بطريقة تفكيره وإدارته السَّابقة لأنَّهَا هي التي ستجعل المأساة مستمرة.

ثانياً: قيادات الثَّوْرَة

لا يوجد قيادة للثَّورة، توجد قيادات. وهٰذا وحده أكبر مأساة. ومع ذٰلكَ ذٰلكَ، وكما يقول المثل العاميُّ: «رضينا بالبين والبين ما رضي فينا»، فإنَّ هٰذه القيادات الثَّوْرَية السِّلميَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة والسَّنكريَّة كلها، كلها وأكاد أقول من دون استثناء، ليست أهلا للقيادة وتصرُّ علىٰ أن تكون هي القيادة...

اتَّسمت قيادات الثَّوْرَة السلميَّة في البدايات فقط بالحماس والاندفاع والإخلاص والصِّدق والنَّوايا الشَّريفة النَّظيفة، ولٰكن في الوقت ذاته افتقرت هٰذه القيادات منذ بداية الثَّوْرَة إلىٰ الوعي السِّياسي والتَّقدير الصَّحيح لمجريات الأمور والتَّخطيط والتَّدبير والتَّفكير... وبعد سنةٍ ونصف أو أو أكثر قليلاً تعمقت معضلة هٰذه القيادات أكثر فالقيادات الأولىٰ الصَّادقة الشَّريفة النَّظيفة ماتت أو اعتقلت أو تشرَّدت واستلم

عنها من اتَّسم بالمساوئ السَّابقة وأضاف إليها مساوئ جديدة من الوصوليَّة واللصوصيَّة والتَّسلُّق... وسينجم عن هٰذه التركيبة الجديدة الممارسة الإقصائيَّة لكلِّ الكفاءات والمهارات ولكلِّ من يريد أن يعمل بصدقٍ وإخلاصٍ لأنَّ وجود هؤلاء يفضح سطحيتهم وسائر معايبهم الأُخْرىٰ.

هٰذا الحكم عامٌّ غير مطلق. عامٌّ أي إنَّ أكثريَّة القيادات من هٰذا القبيل... أي إنَّ الأمر لا يخلو... أقول لا يخلو من وجود بعض القيادات الشَّريفة والمختصَّة والكفوءة في أيِّ مجالٍ من المجالات: الثَّوْرَية والسياسيَّة والعسكريَّة والحقوقيَّة والطِّبيَّة والإغاثيَّة... إلىٰ آخر ما هنالك. ولٰكن أذكر من جديدٍ هم القلة القليلة بَيْنَ تراكم أصحاب عقد النقص والاستعراض والزعامة والفخامة... ولذٰلك لن يكون لهم أيُّ تأثير.

حسناً، هنا المشكلة التي يجب تسليط الضَّوء عليها. إنَّ أشخاصاً بهٰذه المواصفات لا يمكن أن ينتجوا نتائج صحيحة علىٰ الإطلاق، بل إنَّ بعضاً غير قليل منهم صار من مخطَّطاته أن تدوم الثَّوْرَة، أن تطول المأساة، أن تتفاقم المعاناة، لأن منفعتهم ومصالحهم تتحقَّق بهٰذه الدَّيمومة، وإنَّ توقف الثَّوْرَة بأيِّ حالٍ هو قطع شريان الفساد الذين يعتاشون عليه.

هٰذا لا يعني أن الثَّوْرَة علىٰ خطأ. ولا أنَّ الشَّعْب السُّوري سيءٌ. أبداً. ثَمَّة تقاطعات كثيرة أدَّت إلىٰ ذٰلكَ، من طرف النِّظام من طرف الآخرين... وكانت النُّفوس المريضة والضَّعيفة والفصاميَّة كلها جاهزة لتلقف هٰذه الفرصة أو الانجراف

في التيار الذي سيقوا إليه، وبعضهم لم يكن بحاجة لمن يقوده إلىٰ هٰذا المسار لأنَّهُ كان يصنعه بنفسه.

ثالثاً: أدعياء المعارضة

لا أريد الحديث في المعارضة العربيَّة وطبيعتها وكفاءاتها وفلسفاتها ووقفتها الشولاء ضدَّ الثَّوارات العربيَّة!!!... فهٰذا موضوعٌ طويلٌ أفردتُ له كتاباً كاملاً. ولذلك قلت: أدعياء المعارضة ولم أقل المعارضة. ثَمَّة فرقٌ بَيْنَ الفنائين.

مما أوضحته غير مرَّةٍ منذ عام ٢٠١٢م أنَّ الظُّروف القاهرة للشَّعب السُّوري اقتضت منه تفويض من يمثله في الخارج من الخارج لمخاطبة الخارج... وإذ بهم جميعاً من الخارج إلىٰ الخارج، كانوا في خارج ودخلوا إلىٰ خارج وضيعوا كل المخارج... مع استثناءات قليلةٍ بل نادرةٍ ندرة اجتماع المال والعقل والجمال في امرأة معاً.

منذ بدء تشكيل المجلس الوطني تبين بوضوح أنَّ بنية التَّركيب خاطئة، فلسفة المجلس خاطئة، الأشخاص الذين تَمَّت لملمتهم من شوارع أوروبا هم الأشخاص الخطأ... منهم من غادر سوريا وعمره عشر سنوات ومع ذٰلكَ راح يبيض علينا بطولات ثوريَّة واعتقالاتٍ وملاحقاتٍ كان يتعرَّض لها... وكلُّها كذب، هشت بهشت، لا أساس لها من الصِّحة... ولٰكنَّهَا (بريستيج) لا بُدَّ منه للظهور في برواز المعارضة.

تَمَّ نسف المجلس الوطني من أجل إنشاء الإئتلاف الذي كان نسخة من المجلس الوطني في الأوصاف السَّابقة وربَّما زاد الطين بلة بأخطاء مصائبيَّة كارثيَّة في حقِّ الثَّوْرَة وسوريا شعباً وأرضاً وتاريخاً.

لا أريد الدُّخول في تفاصيل مؤلمةٍ وهي كثيرةٌ جدُّ كثيرةٍ. أختم فقط باعترافاهم في الأيَّام الأخيرة، من أجل تفسير عدم فاعليتهم وإخفاقهم علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة، بأنَّهُم ليس فيهم خبراء تخطيط ولا تنظيم ولا حَتَّىٰ فهم، ولهٰذا عادي لأنَّهُم، مع تحفظ علىٰ نحو اثنين بالمئة، نكرات لا تاريخ لهم. حاولوا تعلم الفهم والمعارضة بدماء السُّوريين وعذاباتهم، ويا ليتهم تعلَّموا شيئاً. ومع اعترافهم بعدم الفهم والافتقار إلىٰ الخبرة فإنَّهُم مصرُّون علىٰ المضي في ادعاء قيادة الثَّوْرَة!!!

مضطرٌّ لتمديد الخاتمة بذريعتهم السَّخيفة بأنَّ نظام البعث جرَّف الحياة السِّياسيَّة والوعي السِّياسي علىٰ مدار خمسين سنة، من أجل تسويغ الغباء والأخطاء، ولهٰذا وهمٌ. الكفاءات أكثر من كثيرة ولٰكنَّهُم أنانيون لم يمانعوا من تدمير سوريا وقتل شعبها من أجل تفريغ عقد النَّقص واللصوصيَّة.

رابعاً: المجتمع الدولي

المجتمع الدولي تسمية مضللة في حقيقة الأمر. مفهوم عام غير قابل للتعميم، لأنَّهُ لا يوجد مجتمعٌ دوليٌّ. يوجد أمريكا التي تفرض إرادتها علىٰ الجميع بطريقة أو بأُخْرَىٰ. وفي إطار الأزمة السُّوريَّة وجدت روسيا والصين سلماً بالعرض كما يتوهَّم الكثيرون، في حين أنَّهُما تفعلان ما يسر أمريكا ويرضيها. تفاصيل ذٰلكَ كثيرةٌ في حقيقة الأمر وكان لي فيها كتاب كامل هو الثَّوْرَة السُّوريَّة والمؤامرة الكونية.

من فكرة المؤامرة أنفذ إلىٰ المشكلة هنا. لقد خلط النِّظام أساساً بَيْنَ المؤامرة التَّلقائيَّة والتَّاريخية علىٰ سوريا والعالم العربي والإسلامي، وبَيْنَ الثَّوْرَة

السُّوريَّة. لم يكن موفقاً في الخلط لأنَّهُ زاد في تفاقم الأمور واستفزاز الشَّعْب السُّوري.

علىٰ أي حالٍ ليست المشكلة هنا، المشكلة هي أنَّ النِّظام فتح الباب علىٰ مصراعية لتنفيذ رغبات المتآمرين علىٰ سوريا سواء بيده المباشرة أو بإيصال الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ولم يتوقَّف الأمر هنا بل وُجِدَ من النُّفوس المريضة والضَّعيفة والعفنة في قيادات الثَّوْرَة ما أدَّى إلىٰ وضع المتآمرين يدهم علىٰ الطَّرف الثَّاني فصارت سوريا من بابيها مفتوحةً علىٰ مصراعيها لتنفيس عقد المتآمرين في تدمير سوريا والسير بها خطوة خطوة إلىٰ تحقيق المشروع الذي ترغب فيه وتتمناه... علىٰ الأقل هَكذا يتصورون حَتَّىٰ الآن، ويعملون علىٰ هٰذا الأساس حَتَّىٰ الآن.

المؤامرة دخلت بعد أن فتح السُّوريون لها الباب، وعلىٰ رأسهم النِّظام. والمجتمع الدولي، بالمعنىٰ الذي صار واضحاً، له غاية واحدة وهي استفزاز وإغراء الطَّرفين من أجل استمرار الصِّراع إلىٰ أقصى مدىٰ زمنيٍّ ممكنٍ. أي لا يريدون للثَّورة أن تنتصر، ولن يسمحوا ما استطاعوا إلىٰ ذَلكَ سبيلاً أن تنتقل السُّلطة من النِّظام إلىٰ طرف جديدٍ لا يحقِّق لهم مصالحهم مثل النِّظام في الحدِّ الأدنىٰ. لأنَّهُ أمام فرصة تاريخيَّة لن تتكرَّر.

الثَّـوْرَة وقادتهـا بالمجمـل لم يـدركوا هٰـذه الحقيقـة ولـذَلك ظلَّـوا حَـتَّىٰ اليـوم متعلقـين بـذيل المجتمـع الـدولي نـاطرين الـدَّعم والمسـاعدة والتَّـدخل. وهٰـذا محـض غبـاءٍ لأنَّـهُ في أحسـن الأحـول وأحسـن الظُّنـون مـن الغبـاء توقـع أيِّ دعـم أو مسـاعدة مـن أحـد مـن دون ثمـن. مـن الغبـاء توقـع أن يحـل الآخـرون مشـكلاتنا، أو أن يـدافعوا عنَّـا... تمامـاً مثـل القضـيَّة الفلسـطينيَّة

التي ما زال العرب منذ سبعين سنة ينتظرون ويأملون أن تقوم أمريكا بمحاربة إسرائيل وتحرير فلسطين!!!

وفي الوقت ذاته النِّظام وقع في فخ الوعود والإغراءات ومضىٰ في معركته غير تاركٍ وراءه باباً يعود منه. ومع ذٰلكَ أتساءل: لو أدرك النِّظام أنَّهُ ماض في هٰذا النَّفق منذ البداية هل كانت لتكون هٰذه خياراته؟ وحده الذي يجيب علىٰ هٰذا السُّؤال.

خامساً: المجتمع العربي

نقصد بالمجتمع العربيِّ الأنظمة العربيَّة بالمطلق. بالمطلق الأنظمة العربيَّة لم تُرِدْ للثَّورة السُّوريَّة أن تنتصر، وبالمطلق أرادت أن تؤدِّب شعوبها وترويها بالشَّعْب السُّوري... وأن تجعل الثَّوْرَة السُّوريَّة مقبرة الرَّبيع العربي. وأكاد أقطع الشَّك بيقين أنَّها كلَّها تنسِّق مع النِّظام السُّوري علىٰ هٰذا الشَّأن علىٰ الرَّغْمِ من الحملات الإعلاميَّة الشَّنيعة شناعةً غير محدودةٍ بَيْنَ الطرفين؛ الأنظمة العربيَّة والنِّظام السُّوري.

وهنا وَقَعَ النِّظام في الفخِّ، ووقعت الثَّوْرَة بَيْنَ يدي من لا يرحم. حَتَّىٰ الآن ترى الثَّوْرَة بمختلف قياداتها إلىٰ الأنظمة العربية علىٰ أنَّها داعمةٌ للثَّورة في حين أنَّها علىٰ عكس ذٰلكَ تماماً. ولذٰلك استطاعت هٰذه الدُّول جرَّ الثَّوْرَة إلىٰ سردابها وقيادتها بما ينسجم مع أهدافها وغاياتها، وخضعت الثَّوْرَة لها.

أمَّا النِّظام فمن السَّهل تفهُّم وحَتَّىٰ تقبل تنطعه لمهمة ترويض الشَّعْب العربي بالشَّعْب السُّوري في الأشهر الأولى من الثَّوْرَة. ولٰكن بعد مضي أقلِّ من عامٍ لا يمكن تفهم ولا تقبل قبوله القيام بمهمة التَّرويض هٰذا لأنَّهُ هو من سيدفع الثَّمن، والشَّعْب السُّوري من سيدفع الثَّمن. أي سوريا ستدفع الثَّمن نفسه

مرتين؛ وقد فعلت، من أجل خدمة الأنظمة العربية وراحتها. لأنَّ شقًّا آخر من المشكلة يمكن في أنَّ الأنظمة العربيَّة أرادت أن تشتعل سوريا وتحترق من أجل تبقىٰ هي بعيدة عن النار... وقد فعلت أيضاً. ولٰكن هل ستبقى بعيدةً عن النَّار؟

إذن، في محصلة القول: إذا كان النِّظام مسؤولاً بالدَّرجة الأولى والأخيرة في المرحلة الأولى من عمر الثَّوْرَة عن وصول الأمور إلىٰ ما وصلت إليه، فإنَّ الجميع في المرحلة الثانية وما بعدها مسؤول عن وصول الأمور إلىٰ مرحلة الفوضىٰ والعبثية. واستمرار الطرفين في هٰذا الغباء والوقوع في الأفخاخ يعني بالضَّرورة استمرار المأساة وتصاعد تعقيد الأمور وابتعاد الحل. واحدٌ من الطَّرفين يجب أن يصحو ويعرف كيف يقود الأمور إلىٰ المسار الصَّحيح الذي لن يكون الوصول إليها سهلاً بحالٍ من الأحوال، ولٰكنَّهُ ما لا بُدَّ منه لوضع القطار علىٰ السِّكة.

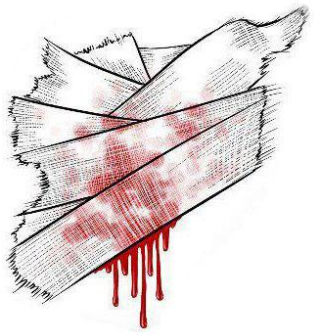

الفصل الثاني

كلام يهز البدن!

أحيانا تسمع كلاماً يهز بدنك غصباً عنك[٢].

أحمد رافع الممثل إياه يقول: لولا بشار الأسد لتدمرت سوريا.

ماذا أفهم من ذَلكَ؟

أنَّهُ لا يوجد أي دمار سوريا مثلاً؟

أم يعني مثلاً: كانت ستدمر كلها وبشار حمى ٣٠% التي لم تدمر بعد؟

أم أنَّ تسوية سبعين بالمئة من سوريا بالأرض هو إعمار بطراز حديث؟

(٢) .كتب لهذا المقال في ٨/١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

أم السيس أحمد زافع لا يعترف بأي دمار في سوريا؟

يا أخي دافع بشار الأسد أنت حر، بس دافع بما لا يجعلك وإيَّاه سخرية... احك كلمة يمكن أن تدخل ولو دحشاً بالراس لا بالعقل.

أربع سنوات ولم يتعلم الموالون لبشار الأسد شيئاً، لم يتقدَّموا في الفهم سنتمتراً واحداً، لم يتغير فهمهم المتخشِّب لمعطيات التي تحيط بهم بما لا يمكن دحضها أو إنكارها... أصوات المدافع حولهم بل تسقط حولهم ومع ذَلكَ ينكرونها ويقولون ألعاب نارية، فرقعات صبيانية... تدمرت سوريا كلها تقريباً، وغبار الدَّمار يسدُّ سماء سوريا، ومع ذَلكَ تجدهم يقولون سوريا بخير، والأزمة خلصت!!!

أيعقل أن يكون هٰذا غباءً؟

لا يمكن لغباء أن يصل إلىٰ هٰذا الحد.

كان عندي كلب في يوم من الأيام. كان مربوطاً بمعلف الزريبة. صدمت سيارة بالزريبة فتصدعت وأوشكت بالتَّداعي. في هٰذه الأثناء فوجئت بالكلب وقد صار خارج الزريبة ساحباً المعلف كله... المعلف الذي يحتاج إلىٰ تركتور ليزحزحه قد جره الكلب لينجو بنفسه من الدَّمار.

افهموها.

الفصل الثالث

من ثلج جنيف إلى صقيع موسكو

يبدو أنَّهُ لا تفاوض مع النِّظام إلا تحت سقف الصَّقيع[٣]. كانت المفاوضات في جنيف في ذروة الشتاء. ولذلك أتت النتائج متجمدة علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ السُّخونة في المفاوضات. وكثر الحديث علىٰ جنيف الثالث علىٰ أمل أن يكون صيفيًّا لعَلَّ الدفئ الجنيفي يثمر عن نتائج دافئة. ولٰكن فجأة قالوا: «ستشرق الشمس من موسكو».

حسناً، وما المانع؟

(٣) .كتب لهذا المقال في ١/٢٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

ولٰكن أيُّ شمسٍ ستشرق من موسكو في ذروة الشتاء الرُّوسي وتصدير العواصف الثلجيَّة القاتلة للشرق؟

نحن، في تصور أوليٍّ، نتوقع أنَّ المجتمع الدولي يصر علىٰ أن تكون النتائج متجمدة دائماً مهما كان مكان أو زمان التفاوض بَيْنَ النِّظام والمعارضة/ الثَّورة. ولذلك انتقل المشروع من صيف جنيف إلىٰ جليد موسكو... يبدو أنَّهُم أدركوا أهميَّة التفاوض بَيْنَ الثَّورة والنِّظام في أجواء الثلج والجليد والبرد الشديد.

مهما يكن من أمر لا بُدَّ من التساؤل عن الأسباب التي حدت بالمجتمع الدولي إلىٰ تبني مبادرة موسكو والتحول من جنيف إلىٰ موسكو. ويزداد التَّساؤل حدَّة وأهميَّة في ظلِّ الاستقطاب الكبير بَيْنَ روسيا والغرب علىٰ تبعات الأزمة الأوكرانيَّة، والحصار والاقتصادي الغربي لروسيا، العقوبات الاقتصاديَّة، وحرب النفط والغاز الغربي علىٰ روسيا!!!

كيف يمكن في ظلِّ كلِّ هٰذا الاستقطاب أن يسلم الغرب الملف السوري لموسكو مع ما تعنيه نتائج التفاوض بَيْنَ النِّظام والثَّورة/ المعارضة. من غير المعقول القول بأن النتائج لا تعني أمريكا/ إسرائيل والمعسكر الغربي معهم. وإلا لا يمكن فهم ما حدث من الموقف الغربي وخاصة الأمريكي علىٰ مدار ما سبق من الثَّورة من تدخل واختراق وما إلىٰ ذٰلكَ من تحديد مسارات الجيش الحر والمعارك كما يعلم المتابعون جميعاً. قطعاً لدابر التداعيات في ذٰلكَ، لا شك في أنَّ هناك توافقٌ وانسجامٌ بَيْنَ كل هٰذه الأطراف الخارجيَّة علىٰ مصير الثَّورة والنِّظام معاً، ولا يوجد بينهم أيُّ اختلاف كما يبدو للأفهام السَّطحيَّة... كلهم يريد نتيجةً واحدةً، هم يعرفونها ومتوافقون عليها بصيغة أو أُخْرَىٰ، والثَّورة لا

تعرف عنها شيئاً للأسف، ولٰكنَّ النِّظام يعرف خطوطها العريضة بالتأكيد، ورُبَّما هناك تنسيق في ذٰلكَ.

ومع ذٰلكَ أتوجه بسؤالٍ غير بريءٍ إلىٰ من يفاوضون النِّظام في موسكو: لماذا لا تفاوضون النِّظام مباشرة في دمشق، لماذا لا يكون التفاوض إلا عن طريق وسيطٍ روسي أو بوسي أو هندوسي أو كما كان عن طريق أمريكا وغيرها؟؟؟؟ أفيدونا من فضلكم؟

طالما أنَّهُ لا يوجد أي ضمانات، والسقف المطروح هو استمرار النِّظام ورُبَّما تقاسم شيءٍ من السلطة، فلماذا لا تفاوضون النِّظام مباشرة وهو وأنتم مسرورن؟

إنَّ أيَّ زعمٍ تزعمونه لتسويغ التوسيط الخارجي غير مقبول ولا قيمة له، بل ويدل علىٰ جهل وغباء في تقدير الأمور. أمَّا إذا كان من أجل ضمانات روسيَّة وحَتَّىٰ دوليَّة، وهو الزعم الوحيد الذي يمكن قبوله، فإنَّ من يظن أنَّ أحداً يستطيع أن يفرض أيَّ ضمانات علىٰ بشار الأسد فهو واهم ولا يفقه شيئاً من الواقع، ومن ثمَّ فهو غير جدير بأن يكون مفاوضاً. لأنَّ أدنى الشروط التي يجب تحققها في المفاوض هو فهم الطرف الآخر الذي سيفاوضه. ناهيكم عن غيره من الشروط. فكيف يمكن لمن لا يعرف شيئاً عن الطرف الذي سيفاوضه أن يفاوضه؟ هٰذه ليست غباءً وحسب، إنها جريمة مكتملة الأركان.

وحَتَّىٰ يكتمل النقر بالزعرور، مع بدء المفاوضات فوجئنا بتخفيضات بالجملة في مفاوضات موسكو. فقد كان ما يسمى وفد الثَّورة قد طالب بأن يكون وليد المعلم وزير الخارجيَّة ممثلاً للنظام في

مفاوضات موسكو، علىٰ أساس أن وليد المعلم يستطيع أن يقرر أو يضمن أي شيء. وهٰذه نقطة بلاهة أُخْرَىٰ تعاني من ما يسمى قيادة الثَّورة السوريَّة، أو المفاوضين باسمها، لا يعرفون شيئاً أبداً عن طبيعة النِّظام السوري وكيفيَّة صنع القرار فيه.

علىٰ أيِّ حال، مع بدء المفاوضات قام النِّظام بتخفيض مستوى التمثيل من وزير الخارجيَّة إلى مندوبه في الأمم المتحدة بشار الجعفري. فانبعجت روسيا وخفضت التمثيل من وزير الخارجيَّة سيرچي لافروف ونطت فوق نائب وزير الخارجيَّة بچدانوف إلى جعل مدير معهد الاستشراق في موسكو رئيساً للوفد الروسي... أمَّا ما يسمَّى وفد الثَّورة فهو منخفض أصلاً إلىٰ ما دون مستوى نائب معاون رئيس بلديَّة.

ومع كل ذٰلكَ، وذٰلكَ كله، أمريكا والعالم يعوووولون الكثير علىٰ هٰذه المفاوضات. تخيلوا المشهد جيِّداً: أوطى سقف تفاوضي يتوقَّع الجميعُ منه أعلىٰ النتائج!!!

إمَّا أنَّ سقف تفكير الأنظمة السياسيَّة في العالم منخفضٌ جدًّا، إلىٰ أبعد حدود الانخفاض، وكم هو إذ ذاك سقف العالم منخفض جداً كثيراً كبيراً؟!؟! أو أنَّ هناك ميل إلىٰ استغباء السوريين إلىٰ درجة لا تطاق... ويا لطف الله عندما تعلم أنَّ أصحاب القرار، علىٰ افتراض هم أصحاب قرار، أغبياء إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يصدقون.

هٰذا كله في كوم، والوفد المفاوض الممثل للثورة في كوم آخر. في مطلع العام الحالي بدا أنَّ روسيا تتصرَّف مع الثَّورة وكأنَّها هي القائد الأعلىٰ للثَّورة السُّوريَّة، فهي التي حددت وتحدِّد من يمثل الثَّورة ومن يفاوض باسم الثَّورة، وهي

التي تحدد نسب المشاركين، وهي التي تحدِّد أسماء المدعويين للتَّفاوض مع النِّظام، علىٰ سبيل المثال:

. ثلاث أعضاء من الإئتلاف... أخيرا رفض الإئتلاف المشاركة.

. ثلاث أعضاء من هيئة التنسيق.

. ثلاث أعضاء من أحزاب الجبهة الوطنيَّة.

. ثلاث أعضاء لا أحد يعرف عنهم شيئا.

. ثلاث أعضاء شوارعيَّة، علىٰ أساس ممثلين لرأي الشارع.

. ومن الممكن من أجل التبهير والإثارة أن تضع خمس أعضاء من الحزب الشيوعي السوفيتي الراحل...

وفي الوقت نفسه روسيا هي التي تختار وفد النِّظام وتأمره ماذا يقول وماذا يفعل.

أجاثا كريستي وهوليووووود بكل خيالهم البوليسي عاجزون عن هٰذه التركيبة المدهشة. والطَّريف الطَّريف عندما تعلم أن كل هٰذا الخيال قد تحقق اليوم، ففي سياق خفض السَّقف الذي تحدثنا عنه نجد أنَّ الذين يمثلون الثَّورة لا علاقة لهم بالثَّورة إلىٰ حدٍّ كبير، وهم ممثلون للنظام رُبَّما أكثر من تمثيل النِّظام لنفسه، ولذلك كثرت التَّعليقات السَّاخرة بما يسمى الوفد الممثل للثورة، منها أنَّ النِّظام يفاوض نفسه في موسكو، ومنها: مفاوضات موسكو هي بَيْنَ المخابرات السياسيَّة والمخابرات العسكريَّة... وغير ذٰلكَ من التعليقات.

علىٰ الرَّغْمِ من ذٰلكَ كله فمن المتوقع أن لا تنجح المفاوضات، سيكون من الصعب أن يتفق النِّظام مع نفسه.

انتهت اليوم ٢٠١٥/١/٢٩م المفاوضات بعد تسريبات سابقة بإخفاقها، حَتَّىٰ أوشك لافروف يقول بعدم جداوها، ثمَّ رقَّع في تصريحٍ آخر بتمديدها واحتياجها لوقت طويل وغير ذَلكَ كثير. وكانت الضَّربة القاضية بالمؤتمر الختامي الذي عقده الجعفري رئيس وقد النِّظام. نفى نفياً قاطعاً وجود أي خلافات علىٰ أي شيء بَيْنَ الفريقين. وأكد توافق الفريقين علىٰ نسف الجنيفين لأن الجماعات التكفيريَّة ظهرت بعدهما، ليؤكد كذب النِّظام بأنه كان يحارب التكفيريين قبل جنيف.

نقطة الخلاف الوحيدة فيما يبدو هي استكمال المفاوضات في دمشق. فمن يسمون ممثلي الثَّورة الذين يعيشون في دمشق يرفضون مفاوضة النِّظام في دمشق. يريدون أن يكون مثل أعضاء الإئتلاف: كل اجتماع في عاصمة أوروبيَّة.

السؤال المهم الآن هو: علىٰ افتراض نجحت المفاوضات، فماذا يمكن أن تفعل علىٰ الأرض؟

أكرر ما كررته عشرات المرات على مدار سنوات الثَّورة: بشار الأسد هو النِّظام والنِّظام هو بشار الأسد. بشار الأسد لن يقبل بأي حل لا يكون هو فيه المنتصر وسيد القرار.

الفصل الرابع

هل يمكن المحافظة على مؤسسات الدولة؟

يدهشني أذكياء المعارضة الذين يفترض أنَّهُم قادة الثَّورة وهم يتحدَّثون ببلاهةٍ عن عدم قبولهم بإسقاط مؤَسَّسَات الدَّوْلَة(٤)، علىٰ أساس أنَّهُم يقدِّمون ضماناتٍ لأمريكا والمجتمع الدولي بالمحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة كي لا تعم الفوضى، علىٰ سبيل المثال.

المجتمع الدولي يضحك علىٰ الثَّورة السُّوريَّة بأنَّهُ يريد المحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة كي يقدِّم مساعدات لها في إسقاط النِّظام، وبلهاء الثَّورة

(٤) .كتب هٰذا المقال في ٢/٩/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

السُّوريون يجترون الفكرة ومنذ زمن وهم يكرِّرون: نحن نريد المحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة، نحن لا نريد إسقاط مؤَسَّسَات الدَّوْلَة... وكأنَّ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة عصفورة في قفص، أو عمارة في وسط العاصمة أو علىٰ أطرافها!!!

السُّؤال الذي يفرض ذاته بقوَّة الآن، ومنذ سنتين أو سنة ونصف علىٰ الأقل: عن أيِّ مؤَسَّسَات دولةٍ يتحدثون؟ وما المؤسَّسة التي بقيت حَتَّىٰ نحافظ عليها، ومتىٰ كانت الثَّورة أصلاً تريد تدمير مؤَسَّسَات الدَّوْلَة؟

إنَّ محض قول أدعياء تمثيل الثَّورة أنَّهُم يريدون المحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة بهٰذه الطريقة الاستعراضيَّة، وأنَّهُم لا يريدون تدمير مؤَسَّسَات الدَّوْلَة يلقي عليهم ثوباً من الغباء، وثوباً من الخيانة.

أمَّا ثوب الخيانة فهو تكراراهم الأحمق أنَّهُم يريدون المحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة وأنَّهُم لا يريدون تدميرها، بما يعني أنَّ ذٰلكَ كان في ضمائرهم سابقاً، وأنَّهُم كانوا يهدفون إلىٰ تدمير مؤَسَّسَات الدَّوْلَة، وهٰذا لا أساس له من الصِّحَّة علىٰ الإطلاق، لم يكن سوريٌّ ينوي إيذاء مؤسَّسةٍ من مؤَسَّسَات الدَّوْلَة علىٰ الإطلاق. فإذا كان من تنطع لتمثيل الثَّورة من الخارج يهدف إلىٰ مثل ذٰلكَ فهٰذا شأنه، وهو يتحمَّل مسؤوليَّة ذٰلكَ.

أمَّا ثوب البلاهة والغباء فهو أنَّهُ لم يعد هناك مؤسَّسة يمكن المحافظة عليها. أيُّ مؤَسَّسَات هٰذه التي يريدون المحافظة عليها؟ ما المؤسَّسة التي بقيت متماسكةً في سوريا الآن؟

إنَّ وجود وزراء ومدراء وبعض القطاعات التي يبدو أنَّها تعمل لا يعني أبداً أنَّها مؤسَّسة، ولا يعني أبداً أنَّها موجودة. هٰذا إذا كنَّا نتحدَّث عن بنية مؤسَّسةٍ لا

عن عملٍ مؤسسيٍّ. العمل المؤَسَّساتي أصلاً لم يكن موجوداً لا في سوريا ولا في أيِّ دولةٍ عربيَّةٍ علىٰ نحوٍ عامٍّ يقترب من المطلق.

إنَّ أيَّ حديثٍ عن المحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة هو ضربٌ من التحشيش لأنَّهُ لا يرى من الواقع شيئاً علىٰ حقيقته. يكفي أن نعلم أن أكثر من ثمانين ورُبَّما أكثر من تسعين بالمئة من الكفاءات السُّوريَّة صارت خارج سوريا، وأنَّ نحو ثمانين إلىٰ تسعين بالمئة من العاملين في مؤَسَّسَات الدَّوْلَة لا وجود لهم فيها ما بَيْنَ مشردين في الدَّاخل أو الخارج أو شهداء أو معتقلين، وأنَّ نحو خمسة عشر مليون سوريٍّ مشرَّد ما بَيْنَ الدَّاخل والخارج؛ نحو سبعة إلىٰ ثمانية ملايين سوريًّا خارج سوريا، أي أكثر من ثمانين بالمئة من الشَّعب السُّوري بالمطلق خارج الدَّوْلَة ومؤَسَّساتها بالمطلق. فعن أيِّ مؤَسَّسَات نتحدَّث بعد هٰذه المعطيات؟ وأيُّ مؤسَّسة هي التي بقيت موجودةً في ظلِّ هٰذه المعطيات؟ ولا أتحدث عن الدَّمار المادي الذي طال البنى الماديَّة لهٰذه المؤَسَّسَات.

يجب أن نكون واقعيين وعقلانيين وأن نعترف بالحقيقة لا أن نبيع أوهاماً وتصريحات من أجل استرضاء من لن يرضى عنا مهما فعلنا. إنَّ عدم الاعتراف بالحقيقة، وعدم فهم الحقيقة، سيؤدِّي إلىٰ نتائج أكثر كارثيَّةً مما هي علىٰ أرض الواقع.

إنَّ فهم حقيقة ما هي عليه سوريا الآن يقتضى القول بوجوب نسف ما بقي من مؤَسَّسَات الدَّوْلَة وبناء المؤَسَّسَات بعد ترحيل أنقاض المؤَسَّسَات السَّابقة، ولا يجوز البناء علىٰ أنقاضها.

كان من السَّهل قبل عامين التَّشبُّث بالمحافظة علىٰ مؤَسَّسَات الدَّوْلَة بما فيها المؤسَّسة العسكريَّة والأمنيَّة. ولٰكن الآن بات هٰذا ممتنعاً إلا باستثناءات لا أدري مدى ندرتها، ولٰكنَّهَا تبقى علىٰ أيِّ حال استثناءات.

الحقائق التي يجب أن يدركها السُّوريون كثيرة وكثيرة جدًّا، ولٰكنَّ الحقيقة الأساسية التي يجب أن يدركها الجميع في هٰذا الإطار وفي هٰذه المرحلة، ويفهمومها، ويعلموا بموجبها هي أنَّ المحافظة علىٰ ما بقي من مؤَسَّسَات الدَّوْلَة، إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما بقي بعيداً عن الخراب والدمار... لا يعني أبداً عدم هدم كل البنى المهترئة والمتهالكة وإعادة بنائها بناء منهجيًّا ينسجم أساساً وتأسيساً مع بناء دولة القانون؛ دولة القانون أي دولة سيادة القانون علىٰ الجميع، وهي أسمى وأجل من أي هدف سطحي أو شكلي تتمظهر به أهداف الثورارت في الحرية والديمقراطية وما شابه ذٰلكَ. دولة القانون هي التي تحمي الحريَّة وتضمنها، فيما لا تضمنُ الحريَّة سيادة القانون ولا تساوي الجميع أمام القانون، وكذٰلكَ الديمقراطية ينطبق عليها ما ينطبق علىٰ الحرية، ناهيكم عن أنَّ الديمقراطيَّة ليست إلا التَّمظهر السِّياسي للحريَّة.

والحقيقة الشَّقيقة لهٰذه الحقيقة ظرفيًّا هي أنَّ الوقت قد حان لينتفض العقل السُّوري أجمعه للانقلاب علىٰ ما تراكم من أخطاء علىٰ مدار سنوات الثَّورة وتقرير المصير السُّوري بيد سورية، بيد السُّوريين وحدهم، وعدم انتظار عهر المجتمع الدولي الذي لم يرد ولن يريد الوقوف بأمانةٍ وأخلاقٍ من الثَّورة السُّوريَّة. كل من ينتظر أيَّ مساعدة لسوريا من أي طرفٍ فهو في أحسن التقدير واهم. لا يوجد من يمد لك يداً ليقدم شيئاً من دون ثمن.

الفصل الخامس

الأسد يطلق النار على الحلول

الأسد يسدُّ آفاق الحلِّ، يطلق رصاصة الرحمة علىٰ رأس الحلِّ السِّياسي(٥)، بل بالقياس إلىٰ ما يحدث؛ يلقي برميلاً متفجِّراً علىٰ الحل السياسي حَتَّىٰ بات من المتعذر رؤيته أو إيجاده وسط ركام التفجير المحترق.

بدءاً هٰذه ليست المرة الأولى أبداً التي يطلق بشار الأسد شخصيًّا رصاصه الخارق الحارق لأيِّ حلٍّ سياسي.

(٥) .كتب هٰذا المقال في ١٠/٢/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

في كل لقاء تلفزيونيٍّ أو صحافيٍّ منذ أول الثورة إلىٰ اليوم يفعل ذَلكَ بأريحيَّةٍ عجيبةٍ تكاد لا تصدق... بل لا يمكن تصديقها أبداً. حَتَّىٰ وصلت إلىٰ قناعةٍ راسخة بأن أفضل ما يؤجِّج الثَّورة وأفضل ما يدفع السوريين إلىٰ عدم العودة عن الثَّورة مهما كلف الثمن هو خطابات بشار الأسد ولقاءاته التلفزيونية والصحافيَّة. وأكبر الخاسرين من هٰذه اللقاءات هو بشار الأسد نفسه شخصيًّا بالدرجة الأولى، وما ينعكس عنه عناده وتعنته من مزيد القتل والدمار والتشريد.

أقول ذَلكَ لأنَّ الحقيقة التي لا يريد الاقتناع بها كثيرون هي ما قلته منذ بداية الثورة للجميع: الحل بيد بشار الأسد وحدة ووحده فقط والجميع هوامش. ولا أنفي بعض الاستثناءات الفئوية التي وافق هواها هوى بشار الأسد.

في عودة تتكرَّر كل يوم في شارع النِّظام السوري، تقول: من البديل عن الأسد؟ قالها بشار الأسد ذاته اليوم. هو سأل مذيع البي بي سي في أثناء المقابلة معه اليوم ٢٠١٥/٢/١٠م: «إذا ذهبت أنا فمن سيحل مكاني؟».

أن يقول أنصاره هٰذا الكلام فهٰذا أمر ممكن، يفهم وإن كان لا يبلع ولا يهضم أبداً... منذ أيام حافظ الأسد عندما راج مثل هٰذا التَّصور أو المفهوم سخرت الناس به من مختلف المستويات والانتماءات بمن فيهم مسؤولون كبار في السلطة. فكيف ونحن في هٰذا الظرف والزمن والمعطيات؟ إنه أمر مضحك فعلاً.

وقفت عند هٰذا الكلام في بدايات الثورة عندما طرح النظام هٰذه الفكرة؛ فكرة عدم وجود بديل. وقلت والواقع يشهد بأن سوريا هي البلد الوحيد في العالم الذي يصدر الكفاءات السياسية، ناهيكم عن أنَّ الشعب السورية كله سياسي.

بماذا تختلف هٰذه الفكرة عن شعار النظام منذ بداية الثورة الأسد أو لا أحد؟

الحقيقة الأكيدة هي أنَّ أصدق ما قاله النظام منذ بداية الثورة وحَتَّىٰ الآن قوله: «الأسد أو نحرق البلد»، «الأسد أو لا أحد».

إنها كلمةٌ لم تكن ارتجالاً ولا مزحاً أبداً، كانت قراراً واضحاً تمام الوضوح.

علىٰ أيِّ حال. مأساة اللقاء الأخير هٰذا لا تتوقف عند هٰذه الفكرة الكافية وحدها لتكون رصاصة الرحمة علىٰ رأس أي حلٍّ سياسي. ففي اللقاء براميل متتفجرة كثيرة ألقيت علىٰ أيِّ حلٍّ سياسيٍّ يمكن أن يفكر فيه السوريون تحديداً.

علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ كثيراً جدًّا من الفيديوهات تصور إلقاء البراميل علىٰ المجن السورية فإن بشار الأسد ينكر ذٰلكَ، يراه خرافة وافتراء وكذب.

ما الرسالة التي تصل إلىٰ العالم؟ وما الرسالة التي يريد أن يوصلها بشار الأسد عندما ينكر وجود براميل؟ ويستغرب من السُّؤال عن قصف المدن السوريَّة بالبراميل؟

أن لا يدرك أنَّهُ يسيء إلىٰ نفسه شخصيًّا أبلغ إساءة فتلك مصيبة المصائب.

أنكر بشار الأسد أشياء كثيرة لا يمكن إنكارها منها مثلاً مجزرة الكيماوي، واعترف بأنَّهُ يحاصر المدن السوريَّة. ولٰكنَّهُ لم يعترف بأنَّهُ يحاصر سوريين. السُّوريون هربوا من هٰذه المدن إلىٰ مدنه، قال: «إلىٰ أماكننا»، تعبير مثير للهلع. أما المدن التي يحاصرها فهي محتلة من الإرهابيين. في حين أنَّهُ هو ذاته اعتبر كل أقرباء الإرهابيين وجيرانهم ومحيطهم إرهابيين مثلهم... قال: «لدينا

ملايين الإرهابيين السوريين». تعبير مثير لأكبر هل ورعب في نفوس السوريين خاصَّة.

كلما ظهر في الأفق إمكان مقاربةٍ لحلحلة ما ظهر بشار الأسد في لقاءٍ أو تصريحٍ وخرَّب كلَّ الإمكانات، وألقى براميله المتفجرة علىٰ الحلول ومن يفكر في الحلول وفتح الباب علىٰ مصراعية علىٰ صراع أكبر يستكمل كل مرة ما لم يقتل أو يدمر بعد.

خلاصة لقاء بشار الأسد أنَّهُ لا حلَّ ممكن أبداً في سوريا إلا استمرار الصراع والحسم العسكري لطرف من الطرفين. بكلِّ ما يحمله الحسم العسكري من معانٍ ودلالات تفوق حدود التصور، صورتها المصغرة هي ما وصلت إليه سوريا اليوم.

إذا انتصرت الثَّورة السُّورية فهٰذا هو الأمر الطَّبيعي مهما كان الثمن غالياً، وقد أثبتت الثورة حَتَّىٰ الآن أنَّها أرحم من النظام بمليون مرة، والنظام وأنصار النَّظام يدركون ذٰلكَ في قرارة أنفسهم إدراكاً تامًّا.

وفي المقابل قد ينتصر النِّظام، وهو أمر طبيعي أيضاً، وليس مستحيلاً، ولٰكن إذا انتصر النِّظام فهل سيسأل نفسه: على من انتصر وكيف انتصر؟

لن يسأل، ولن يبالي... إنَّهُ حَتَّىٰ الآن ينفي أنَّ هناك ثورة، وينفي أنَّ هناك خراب، وينفي أنَّهُ يقصف المدن السورية، وينفي أنَّ هناك مواطن سوري ضدَّه... إنَّهُ فقط وفقط يحارب الإرهابيين القادمين من وراء الضَّباب والسوريين الذين يقفون معهم... السوريون الذين يقفون معهم هم ملايين السوريين باعتراف بشار الأسد ذاته في لقاء تلفزيوني يعاد كلَّ يومٍ. ما معنىٰ أن السُّوريين الإرهابيين ملايين؟

ملايين السوريين إرهابيين؟!؟!

وهل عدد السوريين بالمليارات؟

الصين والهند معاً نصف سكان الكرة الأرضية ليس فيهما ألف إرهابي، وسوريا وحدها ذات العشرين مليون فيها ملايين الإرهابيين. ما هٰذا؟ هل يصدق عاقل ذٰلكَ أو يقبله. بل البشرية كلها ليس فيها عشرات آلاف الإرهابيين فكيف اتفق معك أن في سوريا ملايين الإرهابيين؟ وعلىٰ افتراض صحة ذٰلكَ، فمن سيكون السبب؟ ومن ذا الذي يجب أن تحمل المسؤولية ويحاسب علىٰ هٰذا الاستثناء البشري الذي لا يمكن تصديقه أبداً أبداً أبداً؟

اليوم العاشر من شباط/ فبراير ٢٠١٥م أعلنت وكالة الاستخبارات الأمريكية، وهٰذا لا يختلف أبداً عن إجماع إحصارات المجتمع الدولي بمؤسساته المختلفة، أنَّ عشرين ألف مقاتل من تسعين دولة دخلوا إلى سوريا للقتال مع الجيش الحر أو تنظيم الدولة، وأنَّ العدد في ازدياد، والراغبون في الذهاب إلىٰ سوريا يكثرون يوميًّا ولن نتحدث عن الأعداد التي ذهبت إلىٰ العراق.

حسناً، ماذذا يعني ذٰلكَ؟

هل يأتي هٰؤلاء لشم الهواء الطلق؟ هل يأتون ليقبضوا رواتب أو مكافآت؟ هل يأتون لاستعراض العضلات والشهرة؟

كيف يمكن أن أفهم، وكيف يمكن أن تفهم البشرية كلها أن شباباً بعمر الورد يتركون رغد الدنيا ونعيمها ويذهبون ليموتوا دفاعاً عن أناس لا يمتون لهم بصلة؟

ترون كلَّ ذَلكَ بوضوح ولا ترون أنَّ الخطأ والخلل فيكم جميعاً، في سياساتكم الغبيَّة والعدوانيَّة والازداوجيَّة التي تستفز الشباب وتدفعهم للذهاب إلى سوريا للثَّأر من ازدواجيتكم؟!

لو كانوا يذهبوا إلى نزهة أو مكاسب لوجدنا مليون عذر لتخوفكم، ولَكنَّهُم يذهبون إلىٰ موتٍ شبه محقَّقٍ. ومن ذا الذي يذهب إلىٰ موتٍ محقَّقٍ لولا قهر جعل الموت عنده أسهل؟

أنتم السَّبب، أكرر للمرة الألف أنتم السَّبب. والكلام ذاته أقوله للنظام السوري الذي لم يرد حَتَّىٰ الآن أن يفهم المعادلات في سياقها الطبيعي الواقعي. ومن لا يريد أن يفهم الواقع كما هو سيصدمه الواقع بما لا يرغب. تستطيع أن تغير مسار التاريخ، ولٰكن لا تستطيع أن تجعل للمثلث أربعة أضلاع.

إذا لم يضع بشار الأسد حدًّا لشلال الدم والدمار والتشرد فستظل سوريا رُبَّما عشرات السنين القادمة علىٰ هٰذا الحال التي لا يدفع فيها الثمن إلا السوريون كلهم، وسوريا كلها. ولن تكون المنطقة في منأىً من هٰذا الحريق الزلزالي أبداً، بل لن يحدث فيها أقل مما حدث في سوريا. هٰذا ليس تخويفاً، هٰذا حقيقة. ولا تستغربوا إن قلت إنهم هم الذين جروا علىٰ أنفسهم ذَلكَ.

الفصل السادس

الأسد جزء من الحل

الأسد جزء من الحل[٦]، لهذا التَّعبير ليس بالجديد علىٰ مساحات البحث عن حلٍّ للثورة السُّورية أو للصراع علىٰ أرض سوريا. لأن الثورة تحولت إلىٰ صراع كثير من الأطراف علىٰ أرض سوريا علىٰ حساب السُّوريين وحدهم، والرابح غير السُّوريين.

منذ سنتين بدأ الأمريكان، قادة الحلِّ واللاحلِّ، قادة الحرب والسِّلم في العالم، بالتَّنغيم من بعيد عن إمكانيَّة بقاء الأسد، عن إمكانية

(٦) .كتب لهذا المقال في ٢/١٨/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

أن يكون يكون جزءاً من الحل، ورويداً رويداً وصلت الأمر إلىٰ التَّصريح والمباشرة في القول لا بأن بشار جزء من الحل بل بضرورة بقاء الأسد علىٰ رأس سوريا. ليس لمحاربة الإرهاب ولٰكنَّ لعدم وجود بديل عنه يضمن الاستقرار في سوريا، علىٰ أساس سوريا حارة بسويسرا أو بالسُّويد يعمُّها الأمن والأمان والهدوء وراحة البال.

أمريكا بهٰذا التصوُّر تقول في الحقيقة لا يوجد بديل يرضي أمريكا أفضل من بشار الأسد، ولا تعني أنَّهُ لا يوجد في سوريا بديل عن بشار الأسد، البديل بدائل لا واحد، ولٰكنَّ فيما يبدو أن كل البدائل المتوقعة، أقول المتوقعة أمريكيًّا أقل من أن ترضي المطالب الأمريكية مثلما يفعل بشار الأسد... ولذٰلك تجاوزت أمريكا فكرة أن يكون الأسد جزءاً من الحل إلىٰ فكرة ضرورة بقائه.

تصريح دي ميستورا قبل أيام بأنَّ الأسد جزءٌ من الحلِّ هي جزءٌ من هٰذا السياق لا يبتعد عنه. ولا اعتراض من جهة المبدأ علىٰ أن يكون الأسد جزءاً من الحل... إذا كان سيكون ثَمَّة حلٌّ.

ولٰكن، قبل أن نفكر في أن يكون أو لا يكون جزءاً يجب أن ندرك ما هو بحكم البداهة وهو أن محض طرح أن يكون كذا أو فلان جزء من الحل في صارع كبير أو صغير يوحي بالضرورة بوجود مشكلة في وجوده في الحوار علىٰ طريق الحل. لنتذكر منذ البداية كيف كان اشتراط أن تكون إيران جزءاً من الحل في حين أنَّها كانت تنفي أي دور لها في سوريا، وفي الوقت ذاته ما مسوغ طرحها جزءاً من الحل في الثورة السُّورية وهي ليست دولة شقيقة ولا مجاورة، وحَتَّىٰ لو كانت شقيقة ومجاورة فما مسوغ وجودها جزء من حل أزمة داخلية سوريَّة؟!

إذن علىٰ ضوء ما كان، ومما يبدو عرفاً فإنَّ محض طرح ان فلان هو جزء من الحل فإنه إضمار مسبق لتعطيل الحل. ولهٰذا اعتراف ضمني سلفاً بأن الأسد صار خارج الحل. ومع ذٰلكَ، لنقف عند أن يكون بشار الأسد جزءاً من الحل. ولم لا؟ لم لا يكون جزءاً من الحل طالماً أن ذٰلكَ يقود إلىٰ الحل؟! المطلوب هو البحث عن حل، وضع الإصبع علىٰ الحل لا وضع العصي في العجلات.

إذن لا اعتراض من جهة المبدأ علىٰ أن يكون الأسد جزءا من الحل، ولٰكنَّ بأي معنى وكيف وما الآلية، وما معنى أن يكون الأسد جزءاً من الحل؟

هل هو جزء من الحل لمدة سنة، سنتين، ستين سنة؟

هل هو جزء من الحل أم هو الحل؟

والسؤال الأكبر والأهم والأخطر: ما هو الحل؟

الذي يريدون وضع العصي في العجلات وتفعيل شيطان التفاصيل هم الذين سيطرحون آلية تطبيق الحل. الحل يرسم آلياته ولا مشكلة في ذٰلكَ أبداً. هٰذا لا يعني أننا ننكر احتياج أيِّ حل إلىٰ آلية للتنفيذ. إطلاقاً. ولٰكنَّ محض الاتفاق علىٰ الحل سيفرز محاور آلية التنفيذ الأساسية التي تقبل النِّقاش والسِّجال علىٰ أيِّ حالٍّ، وتحتمل أن يكون هناك أكثر من طريق لها. المهم هو الاتفاق علىٰ الحل وإقراره.

في عودة إلىٰ تصريح دي ميستورا الذي يظن أن جاء بالذيب من ذله، والتهليل الروسي الإيراني الأمريكي الهندي المريخي لهٰذا الاكتشاف. أكرر ما قلته منذ بداية الثورة السُّورية إلىٰ اليوم عشرات المرات: الثورة السُّورية، الشَّعب السُّوري، يبحث عن حلٍّ، يريد حلاً لا يريد صراعاً.

الشَّعب السُّوري غير مسرورٍ أبداً بما وصل إليه حاله. ولٰكنَّ الحل بيد النظام وليس بيد الشَّعب. النِّظام هو الذي يستطيع أن يضع حدًّا للمأساة وليس الشَّعب. ولٰكنَّ النظام لا يريد أي حل غير تكريساً قيصراً أكثر قيصيرية مما سبق، والشَّعب لن يقبل بأي حل بعد أن خسر ما خسر.

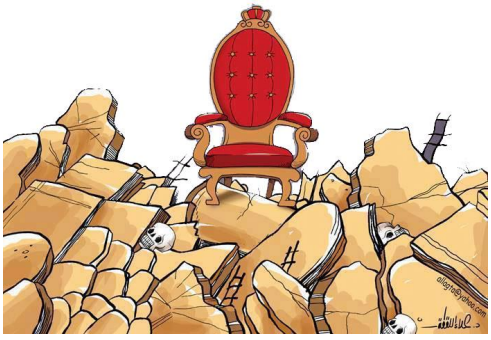

الفصل السابع

هل يستطيع الأسد قبول الحل السياسي؟

الأسد بَيْنَ اللجوء والحلِّ السِّياسي

من يجرؤ علىٰ منح الأسد حقَّ اللجوء؟

هل يستطيع الأسد قبول الحلِّ السِّياسي؟

الذين يقولون: لا بُدَّ في النِّهاية من التَّفاوض والحل السِّياسي[٧]، ينطقون بالحقِّ من أجل تمرير الباطل. نعم أيُّ صراع سينتهي أخيراً علىٰ

(٧) .كتب هٰذا المقال في ٢٤/٤/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الطاولة، الانتهاء إلىٰ الطاولة يعني التفاوض ولا يعني الحل السِّياسي. هناك عقولٌ بشرية أشبه بعقول العصافير عندما تسمع أنَّ الحليب أبيض تحسب أن كلَّ أبيض حليب... وإذا سمعت أنَّ هناك أصلع ذكي حسبت أنَّ كلَّ أصلع ذكي. وإلىٰ جانبها هناك عقول شيطانيَّة تلبس الحق بالباطل لتمييع الحق وتظهير الباطل علىٰ أنَّهُ الحق.

لا يمكن المساواة بَيْنَ تفاوض انتصار الحقِّ أو الباطل لإنهاء الصِّراع وبَيْنَ تفاوض القاتل والقتيل، الظالم والمظلوم علىٰ اقتسام السُّلطة.

ومن يزعم أنَّ انتصار فريقٍ علىٰ فريقٍ يرجئ مشكلةً لمرحلةٍ قادمةٍ فإنَّهُ يلبس الحقَّ بالباطل لأنَّ انتصار أصحاب الحقِّ هو الواجب وهو الحق رضي من رضي وأبى من أبى... فقط انتصار الباطل هو الذي يجعل أصحاب الحقِّ جمراً تحت الرماد حَتَّىٰ ينتصفوا. المعادلة ليست صعبة إلىٰ هٰذا الحدِّ حَتَّىٰ نجرجر فيها ونحوِّر وندوِّر لنساوي بَيْنَ الطَّرفين مساواة لا تستقيم مع المنطق أبداً ولا الأخلاق ولا الأعراف.

هٰذا لا يعني أني ضد الحلول السِّياسية في الصِّراعات، كما أنني لست ضد التفاوض لإنهاء الصراعات... أيضاً لا يمكن الوقوف مثل هٰذا الموقف. ولٰكن يجب وضع النقاط علىٰ الحروف والتمييز بَيْنَ المفاهيم والدلالات وحقيقة كل منها ومداه وأبعاده.

ومع ذٰلكَ، سأتجاهل كل هٰذه البداهات وأدعو إلىٰ حلٍّ سياسي للصِّراع في سوريا، صار اسمه صراع بتخطيطٍ دوليٍّ لئيمٍ ممنهجٍ مبرمجٍ للقضاء علىٰ فكرة الثورة. لا أعرف مدى قابلية الثورة وقيادات الثَّورة

للحل السِّياسي، ولٰكنَّ سأفترض أنَّها بقيادتها المختلفة اجتمعت علىٰ قبول الحل السِّياسي والتَّفاوض مع النِّظام علىٰ وضع حدٍّ للصراع. ولن أفكر في النتيجة كيف ستكون. ولٰكن دائماً ستظلُّ أمامي حقيقة لا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها أبداً، هي بشار الأسد والنِّظام وقدرتهما علىٰ الجلوس علىٰ طاولة التفاوض.

هل يستطيع بشار الأسد أن يذهب إلىٰ أيِّ حلٍّ سياسيٍّ؟

لا أظنُّ أبداً أنَّهُ يمكنه الذهاب إلىٰ أي حلٍّ سياسيٍّ أو تفاوضيٍّ. ليس لأنَّهُ لا يريد الحل السِّياسي، وهٰذا واقع، وليس لأنَّهُ لا يقبل التَّنازل عن السُّلطة وهٰذا واقع، وإنما لأسباب أُخْرَىٰ لا أقول لم تخطر علىٰ بال أحد بل أقول خطرت علىٰ بال الجميع، بل هٰذه الأسباب هي ذاتها كانت وقود الثَّورة منذ انطلاقتها. منذ انطلاقة الثَّورة اتهم النظام الثورة، أي الشعب السوري بأنه عميل للموساد، عميل ينفذ مؤامرة خارجيَّة، ثمَّ اتهمه بأنه إرهابيٌّ، وبشار الأسد شخصيًّا قال هناك ملايين الإرهابيين السوريين، وكأن عدد سكان سوريا مليارات بل تريليونات البشر!!! وعلىٰ ذٰلكَ يبرز السُّؤال:

كيف يمكن أن يقبل الحلَّ السِّياسي إذا كان لا يرى أن هناك ثورة ولا يرى أن الشَّعب ضدَّه؟ إذن لماذا الحل السياسي؟

كيف يمكن أن يذهب بشار الأسد إلىٰ حلٍّ سياسيٍّ مع إرهابيين ومتآمرين وخونه وعملاء؟

كيف يقبل بشار الأسد أن يتقاسم السلطة مع إرهابيين ومتآمرين وخونة وعملاء؟

وإذا تنازل عن السُّلطة فكيف يتنازل عن السُّلطة لإرهابيين وخونة وعملاء ومتآمرين؟

أحاول أن استجمع شظايا المنطق المتبقية من توقع قبول بشار الأسد الذهاب إلىٰ حلٍّ سياسيٍّ، فلا أجد ما يمكن أن يجمع إلا وهو هشيم.

أشفق لحال أيِّ سوريٍّ اقتنع أو قبل أو صدَّق أنَّ الثَّورة مؤامرة... وكل الأمور كانت واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار... والكل كان يترقب الثورة علىٰ الظلم والفساد والطغيان...

أشفق لحال أي سوري اقتنع أو قبل أو صدَّق أن الثَّورة السُّورية طائفيَّة... والكل يرى ويعرف ويعلم وعلىٰ يقين بأنَّ الشَّعب السُّوري ليس طائفيًّا، وأنَّ الثورة ليست طائفيَّة.

أشفق لحالهم لأني لا أعرف كيف يمكن أن يعودوا لتوازنهم النفسي والانفعالي، كيف يمكن أن يتراجعوا عن بهتانهم الذي صنعوه بأيديهم وصدقوه.

هٰذه هي مشكلة النظام التي ما فتئت أحذر منها منذ البداية، وهي أنَّهُ منذ البداية وهو يحشر نفسه دائماً في زوايا لا مخارج لها، ويدخل أنفاق اللاعودة... في كل خطوة جديدة ينسف كل ما وراءه من جسور التواصل وجسور التراجع، وبمنتهى الغباء لم يدرك أنَّهُ لا يمكن أن ينتصر... ليس كل القادة طارق بن زياد، ولا كل المعارك معركة طارق بن زياد.

علىٰ الرَّغْمِ من كل ما يدر أنا لا أميل إلىٰ الاقتناع بأنَّ بشار الأسد سيقبل بالحل السياسي مهما بلغت الضغوط عليه... لن يقبل بأيِّ حلٍّ لا

يضمن له البقاء في السلطة مع الاحتمالية الكبرى لاستردادها كما كانت في عبر المرحلة الانتقالية... وأي دخول في مفاوضات لن يكون إلا مناورة. وهٰذا ما يحاول المجتمع الدولي أن يفعله اليوم بتقريب جنيف٣ بأقصى سرعة عن طريق دي ميستورا وغيره.

تتعزز هٰذه القناعة أكثر وأكثر أما المعضلة الأكبر التي تنتظر بشار الأسد إذا كان سيترك السلطة خلال عام أو اثنين أو أكثر قليلاً، وهي مكان اللجوء، وهنا يبرز السُّؤال المحور والأخطر:

أيُّ دولةٍ هي التي ستجرؤ علىٰ منح بشار الأسد إمكانيَّة اللجوء؟

لا تتخيلوا الأمر سهلاً أبداً.

صحيحٌ أنَّهُ لم تحرَّك حَتَّىٰ الآن أي دعوة جديَّة في المحاكم الدوليَّة، وروسيا ما زلت تعطل مثل هٰذه الإجراءات، إلا أنَّ بشار الأسد أمام مئات الأطنان من الوثائق التي تجعله مطلوباً لكل أنواع المحاكم في الكرة الأرضية والمجموعة الشمسية ومجرة درب التبانة. ولن تقف روسيا ولا غيرها للدفاع عنه عندما يصبح خارج السُّلطة. فأيُّ دولةٍ تستطيع أو تجرؤ علىٰ الوقوف أمام المجتمع الدولي لتحمي بشار الأسد؟

ولذلك لا تتخيلوا أنَّ بشار الأسد سيطلب اللجوء إلىٰ أيِّ دولةٍ. ولا أدري إن كان يدرك ما ينتظره بعد خروجه من السلطة. ولا أحسب أنَّ أيَّ ضماناتٍ في الدُّنيا يمكن أن تحميه أو تعصمه.

بشار الأسد وضع نفسه أمام خيار اللاعودة منذ البداية...

ومنذ البداية أعلن أنَّهُ سيموت دفاعاً عن السُّلطة. طيلة أعوام الثَّورة، باستثناء الفترة الأخيرة، كانت الخيارات بيده وأمامه، أكثر من

خيار كان أمامه دائماً، ولكنَّهُ في كلِّ مرَّة كان يؤثر دفع العربة إلىٰ الأمام أكثر.

مصطفى طلاس قال يوماً: «أخذنا السُّلطة بالدَّم وإذا أردتم أن تخلِّصونا إياها عليكم أن تأخذوها بالدَّم».

كلام حلو. ولكن ما أريد معرفته قبل أيِّ تعليقٍ هو: ماذا كان يملك طلاس من السُّلطة؟

صحيحٌ أنَّهُ ما أُخِذَ بالدَّم يدافع عنه بالدَّم، وما أُخذ بالدَّم لا يستردُّ إلا بالدَّم. هٰذا الكلام صحيحٌ ودقيق أيضاً. ولٰكنَّ ما قاله مصطفى طلاس كذبٌ تام الأركان. فهم لم يأخذوا السُّلطة بالدَّم ولا بالسَّيف. متى أخذوها بالدم وكيف وممن أخذوها بالدم؟ هل كان ذٰلكَ في المنام مثلاً، أم قبل التَّاريخ عندما لم يكن هناك شهود؟!

إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود. نحن شهود علىٰ استلام السلطة من بدايها في عام ١٩٦٣م عندما سمي الانقلاب ثورة، مثلما سمى السِّيسي انقلابه ثورة، وقاموا بتصفية رجال النظام السابق مثلما فعل السِّيسي اليوم تماماً. وبعدما ترسخَّت السُّلطة الانقلابيَّة (الثَّوريَّة) انقلب عليها حافظ الأسد وسمَّى انقلابه حركة تصحيحيَّة، وقام بتصفية شركائه في السلطة لأنه لم ينقلب علىٰ خصوم ولا أعداء. فكيف ومتى أخذ طلاص وصحبه السُّلطة بالدم؟!

بشار الأسد ونظامه يؤمنون بفكرة طلاس، وقد كرروها مراراً للأسف علىٰ أنَّها حقيقة. وما أكثر من قال هٰذه العبارة بالحرف... علىٰ الأقل.

يبدو أن بشار الأسد ونظامه باتوا يدركون هٰذه الحقائق المرة، وانعدام الخيارات، وفي هٰذا السياق كان رد بشار الجعفري في ٢٠١٥/٤/٢٢م علىٰ مندوب السُّعودية في الأمم المتحدة الذي هدد بضربة جوية لسوريا، عاصفة حزم ضدَّ سوريا. بغضِّ النَّظر عن القصد السُّعودي من عاصفة الحزم بسوريا، فإنَّ رد الجعفري لم يكن تهديداً للسعوديَّة لأنه لا أحد يجهل هشاشة النظام السوري وعجزه عن تحرير قرية سورية من يد الثُّوار، رد الجعفري كان استفزازاً للسُّعودية من أجل تنفيذ الضربة فعلاً، لقد حرفيًّا: «إن كنت رجلاً كن عند كلامك؟ فلتفي بوعدك ونعدك بمسح مملكة البؤس والإرهاب والفساد عن وجه البسيطة».

ما قاله الجعفري ليس تهديداً للسُّعودية إنَّهُ استفزاز لتقوم بقصف سوريا... يبدو لي أنَّ النِّظام السُّوري ينتظر هٰذه الضَّربة لأن هٰذه الضَّربة باتت المخرج الأخير والوحيد لبشار الأسد كي يغادر السلطة بطريقةٍ غامضة وعلىٰ أساس ضاعت الطاسة.

MAIN
STREAM
UNKNOWN

الفصل الثامن

من الذي يمنع الأسد من التنحي؟

سأقدِّم قراءةً قد تبدو غريبةً[٨]. بعضهم سيراها غريبةً تماماً، وبعضها يرها غريبة بعض الشيء، وستجدون من يرفضها رفضاً قطعيًّا. ومع ذَلكَ أقول بداية أراها الأقرب إلىٰ الحقيقة وأبين ذَلكَ من خلال أبرز القرائن، بل الأدلة في بعض المحطات والمراحل.

(٨) .كتب هٰذا المقال في ١٥/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

أفترض تأسيساً أن بشار الأسد يريد التَّنحّي وترك السلطة ولٰكنَّهُ ثَمَّة من يمنعه من ذٰلكَ... ثَمَّة من يمنعه بقوَّة، وثَمَّة من يمنعه بالإغراء، وثَمَّة من يمنعه بغير ذٰلكَ.

من الذي يمنع بشار الأسد من التَّنحّي ومغادرة السلطة وسوريا ولماذا؟

عندما نقول إنَّ إيران هي التي تمنعه من ذٰلكَ فإننا لا نأتي بجديد، ولا نخترع لم يسبق اختراعه. ولٰكن عندما أقول إنَّ إيران كانت تتمنى أن يغادر السُّلطة فإننا سنكون مفارقين للواقع كما يرى الكثيرون بل رُبَّما الجميع.

عندما نقول إنَّ من يمنعه من مغادرة السُّلطة هو أمريكا وأكثر الدول العربيَّة دعماً للثَّورة فإنَّنا سنجلب الصُّداع للكثيرين الذين لا يمكن أن يقبلوا ذٰلكَ أو يقتنعوا به أو يصدقوه.

حسناً. المسألة ليست بهٰذه البساطة ولا بهٰذه السَّطحيَّة. تعالوا نبني الحدث منذ البدايات خطوة خطوة، فيما يخص هٰذه المسألة تحديداً؛ مسألة رغبة الأسد في التَّنحّي ومغادرة السُّلطة ومنعه من ذٰلكَ. وقبل أوكد ثانية ليس لدي معلومات ولا تسريبات وإنما هي قراءة بالقرائن وما يشبه الأدلة.

قبل بداية الثَّورة بعشرين يوماً تماماً أجربت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية لقاءً مع الأسد سألته الصحافية:

. هل ستتنحى إذا طلب الشَّعب منك ذٰلكَ؟

أجاب: طبعاً، إذا طلب الشَّعب ذٰلكَ سأتنحى... ولٰكن لن يحدث هٰذا لأن هناك تلاحم بَيْنَ الشَّعب والقيادة... نحن دولة مقاومة وممانعة...

هل كان ينوي فعلاً التَّنحّي أم لا مسألة فيها نظر، رجحت أنَّهُ لم يكن ينوي ذلكَ أبداً حينها بناء علىٰ المعطيات علىٰ أرض الواقع. ولٰكنَّ مع تصاعد الثَّورة والإصرار كانت وقفة العلويين المتماسكة والرَّافضة والضَّاغطة علىٰ الأسد هي أحد أبرز عوامل عدم تفكيره بالتَّنحّي إذا كان قد نوى أو فكر في ذٰلكَ فعلاً في الأشهر الأولى عندما بدا انهيار النظام مع تصاعد الانشقاقات وامتداد الثَّورة علىٰ كامل سوريا تقريباً حَتَّىٰ الشهر الثامن ٢٠١١م. والحقيقة أنَّ هٰذا الضغط ظلَّ قائماً كما هو عنصراً من عناصر عدم السَّماح للأسد بالتَّنحّي حَتَّىٰ أواسط أو رُبَّما أواخر عام ٢٠١١م. فمنذ الأشهر الأخيرة من هٰذا العام انقلبت عقليَّة التَّفكير العلوي وصارت تبحث عن مخرج لا تعرف كيف تجده وسط تراكمات بلغت من التعقيد مداها.

في المرحلة الثانية كانت إيران بالتَّداخل مع حزب الله هي المانع الذي وضع حدًّا لتفكير الأسد في التَّنحّي. فمع تآكل الجيش السُّوْري وبلوغ الانشقاقات مداها في عام ٢٠١٢م علىٰ امتداده تفكَّك النِّظام تفكُّكاً كبيراً وبات يدرك عجزه عن المتابعة في ظل هٰذه المعطيات وأوشك النظام علىٰ الانهيار والسقوط في فترة أواخر عام ٢٠١٢ وبدايات عام ٢٠١٣م، ولو ترك وحيداً لانهار بكل تأكيد، ولٰكنَّ حزب الله هو الذي أنقذ الموقف، وإيران هي المدد، وقد صارت تتدخل فعليًّا من للدفاع عن النظام ومنع بشار الأسد من الانسحاب أو التَّنحّي. واستمر التدخل الإيراني الحزبلاتي منذ ذٰلكَ الوقت بوضوح واعتراف صريح وإن حاول كلاهما تغليف الاعتراف بالقتال دفاعاً عن النظام بأغلفة سلوقانية وكرتونية.

في هٰذا السِّياق أوضح هنا أنا إيران بهٰذا التَّدخُّل والدِّفاع الصَّريح عن النِّظام السُّوْري استشعرت أنَّها دخلت حقل ألغام، كانت تود لو سقط الأسد ولا تخسر ما خسرته من رصيد تجمعه علىٰ مدار عشرات السنين الماضية، ولٰكنَّهَا هي التي منعت الأسد من الانهيار والتَّنحِّي، فلم يعد أمامها سوى أن تدفع العربة إلىٰ الأمام وليكون ما يكون، وهي ماضية في ذٰلكَ لا بدائل أمامها بعدما انفضحت أوراقها ولم يعد أمامها من خيارات سوى أن تكمل مشروعها في الاستيلاء علىٰ المنقطة ولو بوضوح، هٰذا الوضوح ضهر في كثير من تصريحات كثير من المسؤوليين الإيرانيين.

الغريب أن تندفع أمريكا لممارسة دور المدافع عن الأسد ومنعه من التَّنحِّي أو مغادرة سوريا تحت أي ظرف. حدث ذٰلكَ بوضوح يتعذر الطعن فيه إبان مجزرة الكيماوي، ظل الرئيس الأمريكي أوباما علىٰ مدار سنة وأكثر وهو يهدد ويحذر ويتوعد ويضع الخطوط الحمراء... وإذا به فجأة يصادر سلاح المجزرة ويضمن بقاء الأسد إلىٰ ما بعد الانتخابات الرئاسية السُّوْريَّة ليكسب الأسد شرعية جديدة.

أصلا إن محض الإكثار من القول استخدام الكيماوي خط أحمر لم يعن للسورين سوى أنَّهُ أوباما يسمح باستخدام مختلف أنواع الأسلحة في قمع الثَّورة ما عدا الكيماوي، وإذا به حَتَّىٰ الكيماوي لم يكن عنده ممنوعاً.

في فترة مجزرة الكيماوي كان النظام في مرحلة انهيار وسقوط ومشاريع هرب الكثيرين من المسؤولين، ولٰكنَّ السيد أوباما هو الذي منع

ذَلكَ هٰذه المرة. منع ذَلكَ بتمرير تسليم الكيماوي علىٰ مدار نحو التسعة أشهر التي تنتهي بعد الانتخابات الرئاسية السُّوْريَّة، أي إعطاء الأسد فرصة ترتيب نجاحه في انتخابات (دي مو قرا طو ية) واكتساب شرعية دستورية لسبع سنوات قادمة علىٰ الأقل.

ومع ذَلكَ تعرض النظام السُّوْري للانهيار والتفكك أكثر وأوشك علىٰ السقوط مع تقدم جحافل الثَّورة المسلحة في أماكن مختلفة مع نهايات ٢٠١٤م فهرعت أمريكا بقضها وقضيضها لتفعيل جنيف٢ وإشغال الثَّورة بالحوار وتهدئة الثَّورة المسلحة ومنعها من التَّقدُّم بذريعة الحلِّ السِّياسيِّ القادم في جنيف، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ لم يكن هناك أي أفق للحل، وعلىٰ الرَّغْمِ من عدم وجود أي ورقة عمل، وعلىٰ الرَّغْمِ من عدم وجود أي ضمانات... كل ما كانت تريده أمريكا هو إيقاف تقدم الثَّورة بذريعة الحل السِّياسي. وفعلاً هدأت الأمور في ترقب الحل السِّياسي، كان النِّظام في أثنائها قد التقط أنفاسه بالتنسيق مع التدفق الإيراني والحزبلاتي وإعادة الانتشار مع استقدام عشرات آلاف المقاتلين الأفغان والباكستانيين واليمنيين وغيرهم.

انتهى جنيف٢ نهاية فاجعية، واستمرت الثَّورة المسلحة في حالة ركود لمدة أشهر، وبدأ التركيز علىٰ ضرب فصائل الثَّورة ببعضها بذرائع مختلفة. ومرت الثَّورة والنظام بمرحلة ركود نسبيًّا... هناك حركة ولٰكنَّ الصراع بَيْنَ النظام والثَّورة دخل مرحلة ضبابية نوعاً ما بسبب تصاعد تنظيم الدولة الإسلامية. وظهور دي ميستورا خليفة الأخضر الإبراهيمي، دي ميستورا جاء فوراً بخريطة طريق انتشال النظام والأسد من الدوامة بالحلول التي اقترحها منذ أول تصريحاته عن

خطته. وتلك مسألة سنتركها جانباً علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ المبعوث الأممي هو صرت أمريكا لا غير.

مع بدء الحملة الأمريكية التحالفية علىٰ الدولة الإسلامية في سوريا لم تبدأ الضربة إلا بعد تطمينات أمريكية للأسد بأن الضربات لن تقترب منه، وكان ذَلكَ برسالة واضحة نقلها وزير الخارجية العراقي إلىٰ وزير الخارجية السُّوْري كما يعلم المتابعون جميعاً. كانت الرسالة تطمينية حَتَّىٰ لا يتربك النظام ويقع فريسة سهلة أمام الثَّورة المسلحة. وقد ظهر ما يشبه ذَلكَ علىٰ لسان وزير الخارجية الأمريكي في بعض التصريحات. وليس هٰذا فحسب بل إنَّ الحرب علىٰ الدولة الإسلامية، وحَتَّىٰ الآن، لا تعدو أن تكون دفاعاً عن النظام، دفاعاً مباشراً عنه، بل قال السفير الأمريكي السابق في دمشق روبرت فورد: يبدو أننا أصبحنا السلاح الجوي لبشار الأسد. وقال مثل ذَلكَ وزير الدفاع الأمريكي نشاك هيچل الذي استقال إثر هٰذه القراءة للحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة.

وفي هٰذا السِّياق كيف يمكن فهم دفاع قوات التحالف عن مطار دير الزور هٰذا الدفاع المستميت منذ حملة تنظيم الدولة الأولى عليه قبل أربعة أشهر، والآن؟ هل انتهت جعبة الأهداف الأمريكية ولم يبق أمامها إلا الدفاع عن مواقع النِّظام؟

أليس في ذَلكَ كله تأكيدات أمريكية صريحة للأسد بأنها معه وتمنعه من التَّنحِّي؟

الأدهى من ذَلكَ والأكثر صراحة ووضوحاً في أواسط آذار/مارس ٢٠١٥م كان ثَمَّة تسريبات التقطتها الإدارة الأمريكية بأن الأسد يكاد يرحل أو

يفكر في الرحيل فخرج علىٰ الفور ومن دون مقدمات مدير الاستخبارات الأمريكية جون برينان في ٢٠١٥/٣/١٤م في لقاء تلفزيونيٍّ وأعلن أنَّهُ لن يسمح بسقوط بشار الأسد، قال: «لا نريد إسقاط النِّظام المؤسَّسات السُّوْريَّة»، وقال: «إنَّ سقوط بشار الأسد سيفتح المجال أمام الجماعات الإسلامية لاستلام السلطة». وأضاف بوجوب حماية دمشق من السقوط بيد الثَّورة المسلحة قائلاً: «يجب علينا تزويد المعارضة المعتدلة بالسِّلاح كي لا تسمح لغيرها بالزحف إلىٰ دمشق».

وحَتَّىٰ لا يساء فهمه، وتوضع الأمور في نصابها خرج علينا في اليوم التَّالي جون كيري وزير الخارجيَّة الأمريكي شخصيًّا ليؤكد تصريحات برينان ويعلن بوضوح قائلاً: «لا بُدَّ من دخول أمريكا في حوارٍ مباشرٍ مع نظام الأسد». وعندما ضاجت الناس بذَلكَ والتمست العذر بأنه يقصد نظام الأسد ولا يقصد الأسد خرج مضطراً في التالي للتوضيح والقول: «أعني الأسد شخصيًّا».

إذن من الذي يمنع الأسد من الرحيل؟ من الذي يمنع الأسد من التَّنحِّي؟

الأمر بطبيعة الحال لا يتوقف هنا، أوباما شخصيًّا كرر عشرات المرات منذ عام ٢٠١٤م أنَّهُ لا يريد أن تحسم الأمور عسكريًّا، وأنَّهُ لا بُدَّ من الحل السِّياسي، وهو فقط مع الحل السِّياسي... وقبل هٰذا العام ألمح إلىٰ ذَلكَ كثيراً منذ أوائل عام ٢٠١٣م.

سيوجد من يقول: إِنَّهُم يريدون حماية مؤسَّسات الدَّولة!!!

لا أستغرب ذَلكَ، ولٰكنِّي أبحث عن مؤسَّسة للدَّولة ما زلت مؤسَّسة.

==========

IRAQ

الفصل التاسع

محاربة الثورة للمحافظة على مؤسسات الدولة

في أواسط عام ٢٠١٢م نشرت مقالاً مطولاً في الشِّبكة العربيَّة العالميَّة حمل عنوان: تلاعب العالم بالثَّورة السَّوريَّة[٩]. تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة كان منذ أن قرَّرت الثَّورة أن تكون بلا قيادة، منذ أن تعدَّدت قيادات الثَّورة، منذ أن تسابقت قيادات الثَّورة من أجل الدعم

(٩) . تلاعب العالم بالثورة السورية . الشبكة العربية العالمية . ٢٠١٢/٧/٢٨م.

علىٰ رهن الثَّورة للداعمين الذين صاروا يحاربون الثورة بزعم المحافظة علىٰ مؤسَّسات الدَّولة(١٠).

استمرت قيادات الثَّورة علىٰ هٰذا المنوال، واستمرَّ العالم علىٰ هٰذا المنوال، فزادت الثَّورة ضياعاً وتشتتاً وتبعثراً... وازداد تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة، وتواصل هٰذا التلاعب حَتَّىٰ وصل إلىٰ مفاصل حرجةٍ، علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ التَّقدُّم الذي تحقِّقهُ الثَّورة المسلَّحة علىٰ الأرض... بل دعوني أقل لولا هٰذا المنوال من قيادات الثَّورة كانت انتصرت الثَّورة منذ سنتين انتصاراً تامًّا، ولم يستطع أحد أن يفعل شيئاً للنظام ولا أن تضيع كرامة الثَّورة وقيادتها، ناهيكم عن كم الخسائر الهائل بشريًّا وماديًّا.

اتخذ تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة مظاهر وأنماط متعدِّدة تبعاً للمرحلة... مرَّ علىٰ أنماط متعددة وكثيرة ووصل الآن إلىٰ خرافة الحفاظ علىٰ مؤسَّسات الدَّولة، وللمناسبة استبقت هٰذه الأسطوانة المشروخة بمقال مطول نشرته أواخر العام الماضي تحت عنوان: «ما الذي بقي من مؤسَّسات الدَّولة؟».

فإلىٰ الأغبياء الذين لم يقتنعوا ولا يريدون حَتَّىٰ الآن الاقتناع أتوجه بسؤال:

متى كانت الثَّورات تقوم من أجل المحافظة علىٰ مؤسَّسات الدَّولة والدِّفاع عنها؟

الثَّورة التي تنطلق من هٰذه القناعة أو تقبل بها ليست ثورةً وإنَّما هي تمرد يجب قمعه وسحقه. طالما أنَّهَا تقبل مؤسَّسات الدولة وتقتنع بها وتدافع عنها فلماذا كانت ثورة إذن؟

(١٠) .كتب هٰذا المقال في ١٨/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

وعلىٰ هامش هٰذا السُّؤال أبني السُّؤال الأكثر أهميَّة:

هل تريد أمريكا أو إيران أو روسيا أو حَتَّىٰ الدُّول العربيَّة إقناعنا بأنَّهُم حريصون علىٰ المؤسَّسات السورية؟!

في حقيقة الأمر، لا يقتنع بذٰلكَ إلا هبيل أو خبيل أو سطيل أو زبيل أو عميل أو أي شيء من هٰذا القبيل.

لا أستطيع إلا أن أكرِّر ما كتبه مئات المرَّات منذ بداية الثَّورة، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ مئات المرات كلها ذهبت عبثاً وهباءً، وخرج علينا كثيرٌ ممن تمسحوا بالحذاء الأمريكي علىٰ مدار سنوات الثَّورة السَّابقة، وعلقوا كل الآمال علىٰ الدعم الأمريكي والتدخل الأمريكي ليقولوا الآن: «كلنا كنا نعرف أنَّ أمريكا ضد الثَّورة...!!!»:

منذ البداية وأنا أكرر الدَّاعم الحقيقي للأسد هو أمريكا وليست إيران ولا روسيا أبداً. لم يكن الأسد مبالياً بالدعم الإيراني والروسي أبداً إلا من باب السند الاحتياطي. لم يكن ينظر الأسد إلا إلىٰ الصَّوت الأمريكي والرسائل الأمريكيَّة. فقط عندما رأى الدعم الأمريكي له تمادى في القتل والدمار والتَّشريد والمجازر. ولولا ذٰلكَ لما بقي في السُّلطة أياماً.

بل أكرر أيضاً إنَّ من يمنعه من التَّنحي ومغادرة البلاد هو أمريكا، أمريكا لا غيرها، وكل الآخرين هوامش علىٰ المتن.

أمريكا لم تقف مع الثَّورة إلا في الأشهر الأولى خوفاً من سقوط الأسد وخسارة الشَّعب السوري، ولٰكنَّهَا سرعان ما قلبت المجن وأعطت كلَّ الأضواء للأسد للقضاء علىٰ الثَّورة وسحقها. حَتَّىٰ الضَّوء الأحمر والخط الأحمر الأمريكي كان يعني تفويض الأسد بفعل ما يريد من أجل

سحق الثَّورة مهما بلغ ذَلكَ من ثمن. وقد علَّق الكثيرون في فترة الإسهال الأوبامي بالخط الأحمر في حال استخدام الكيماوي قائلين: «هٰذا يعني أن كل أنواع القتل الأُخْرىٰ مسموحة... إلا الكيماوي». وحَتَّىٰ مع استخدام الكيماوي كما تابع الجميع لم يفعل الأمريكان شيئاً سوى قدموا مكافأة للأسد بضمان بقائه حَتَّىٰ ما بعد الانتخابات الرئاسية السورية لتكريسه رئيساً بشرعية جديدة لمدة سبع سنوات.

أمريكا ترى الثَّورة هي العدو ولا ترى الأسد عدوًّا علىٰ الإطلاق علىٰ الرَّغْمِ من البعبعات والجعجعات الإعلامية كلها من الفريقين الذين لا اشك في أنَّ بينهما تنسيق متواصل علىٰ طول الخط.

كتبت عن ذَلكَ معظمه في حينه، واليوم أقف أمام مشهد تككر مثله غير مرة عبر سنوات الثَّورة الأربع الماضية. هو مشهد التباكي الكاذب علىٰ جريمة والسكوت الفاجر علىٰ جريمة أكبر.

أضيق ذرعاً بالبشريَّة القذرة...

السوريون أشكالاً وألواناً...

العرب أشكالاً وألواناً...

الغرب الشرق...

كلهم مستنفرون استنفاراً عجائبيًّا منذ أيام تخوفاً علىٰ آثار تدمر بسبب اقتراب الدولة الإسلامية من السيطرة علىٰ تدمر. ولٰكنَّهُم صمتوا صمتاً مطبقاً علىٰ تدمير آثار لا تقلُّ أهميَّةً وقيمةً دمَّرها النِّظام مثل مسجد العمري بدرعا الذي عمره ١٤٠٠سنة وفيما يروى أنَّ لعمر بن الخطاب لمسات فيه لدى عودتى من القدس، ومسجد خالد بن الوليد بحمص وفيه ضريح خالد ابن الوليد

وعمره ١٤٠٠سنة، وقلعة المرقب، وقلعة الحصن وغيرها... لم يتحرَّك ضميرٌ واحدٌ من أجلها إلا ضمير أبنائها.

هل المشكلة في الآثار أم فيمن يدمر الآثار؟

مثالٌ تقريبيٌّ علىٰ ذَلكَ مجزرة الكيماوي إذ تمت مصادرة الكيماوي وأطلقت يد النِّظام الذي ارتكب المجزرة. دليل النِّفاق والقذارة العالمية هنا هو أنَّهُم يدينون الفعل حسب الفاعل وليس الفعل ذاته، يتباكون علىٰ الأثر حسب من يدمره لا حسب قيمة الأثر، أمريكا دمرت أعزَّ آثار العراق ولم يتفوَّه أحدٌ في العالم احتجاجاً أو اعتراضاً إلا المساكين أصحاب الآثار.

المشكلة ليست في حماية آثار تدمر... يعني لو دمرها النِّظام لما تحرَّك أحدٌ ولا اعترض أحدٌ. المشكلة هي أنَّهُم يريدون تصعيد الاحتجاج علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة... لا أكثر. مثلما حدث علىٰ مدار الحرب ضد الدَّولة الإسلامية؛ إذا تنفست الدولة الإسلامية ثار العالم احتجاجاً واستنكاراً واعتراضاً... أي سلوك تقوم به الدولة الإسلامية يصور تصويراً بشعاً وتسلط عليه أضواء الإساءة كلها من كل الجبهات والجهات، في أنَّ الآخرين في سوريا والعرق واليمن وإيران ولبنان ومصر وأفريقيا الوسطى ومينمار وغيرها يرتكبون جرائم أبشع بمليون مرَّة، وأشنع بمليون مرَّة، وأكثر وحشيَّةً بمليون مرَّة ومع ذَلكَ لا أحد ينبس ببنت شفة اعتراضاً أو تذمراً أو احتجاجاً!!!

هٰذه هي القصة بحذافيها حذفوراً حذفوراً.

هٰذا ليس دفاعاً عن الدولة الإسلامية يا سادة، إِنَّهُ دفاع عن المنطق، عن اتساق العقل مع ذاته، وليكن صاحب الحق من كان... إنَّ أي تفكير خارج هٰذا السِّياق هو انحرافٌ وفقدان توازنٍ واضطرابٌ نفسيٌّ.

لدى مناقشتي لمشروع دمقرطة العالم العربي الذي قاده جورج بوش الصغير بعد احتلال العراق وتوجته وزيرة خارجيته كونداليزا رايس بمشروع الشَّرق الأوسط الكبير عام ٢٠٠٥م، قلت، والمناقشة في كتابي قضايا الفكر العربي المعاصر الصَّادر باللاذقية عام ٢٠٠٦م:

أمريكا لا يمكن أن تقبل الديمقراطيَّة في العالم العربي، إنَّهَا تريد ديمقراطيَّةً واحدةً فقط هي الدِّيمقراطيَّة التي تأتي بعملاء أمريكا إلىٰ السُّلطة، وتضمن بقاءهم تحت أي سقف من الاستبداد وقمع الحرية والديمقراطيَّة؛ الديمقراطية الأمريكية في العالم العربي والإسلامية هي حق أمريكا في فرق رجالها علىٰ السُّلطة مهما فعلوا.

تحت هٰذا السَّقف يمكن أن نفهم الموقف الأمريكي من الربيع العربي ومن الثَّورة السورية علىٰ خاصٍّ وخاصٍّ جدًّا.

الفصل العاشر

النظام ينهار
ويبحثون عن حل سياسي

في حِيْنِ أَنَّ الأوساط العالمية كلها تتوقع انهيار النِّظام بَيْنَ عشيَّةٍ وضحاها[١١]...

في حِيْنِ أَنَّ وزيري خارجيتي أكبر دولتين في العالم اجتمعا قبل يومين في ٢٠١٥/٥/١٧م علىٰ عجل للتباحث في تداعيات انهيار نظام الأسد والتخطيط والتوافق علىٰ مرحلة ما بعد الأسد...

(١١) .كتب هٰذا المقال في ١٩/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

في حِـيْنِ أَنَّ الصـحافة الإسـرائيلية منـذ أسـبوع وهـي تبحـث في تـداعيات مـا بعـد انهيـار نظـام الأسـد ومـا يجـب عليهـا فعلـه لمواجهـة المخـاطر المحتملـة وضـرب مـن تتوقـع أن يشـكلوا عليهـا خطـراً في المرحلـة التالية لسقوط الأسد...

في حِـيْنِ أَنَّ النِّظـام متفكـك ولم يبقـى منـه شـيء ولا أحـد يـدري كيـف سـينهار فجـأة لـيس مـن دون مقـدمات لأنَّ المقـدمات كلهـا تقـول إِنَّـهُ منهـار ومتفكـك ومـا بقـاؤه إلا هـيكلاً مـن دون مضـمون أو روح أو قدرة علىٰ البقاء...

في حـين ذَلـكَ كلِّـه تتفضـل المملكـة العربيـة السُّـعودية علـىٰ الثَّـورة بالتَّحضـير لاجتمـاع تقاسـم السُّـلطة مـع النِّظـام علـىٰ أن ينعقـد هٰـذا الاجتمـاع التشـاوري ولـيس التَّقـاسمي بعـد شـهرين مـن الآن، ولا نـدري كـم مـن الاجتماعـات سـتتلوه علـىٰ كـم مـن الأشـهر ورُبَّمـا السـنوات وفـق المخطط السعودي.

غرابة يبدو أنَّها تفوق قدرة العقل علىٰ التَّخيل. وهي كذَلكَ في حقيقة الأمر من جهة، ولَكنَّهَا ليست جديدةً ولا غريبة من جهة ثانية علىٰ ضوء ما تتوقع السعودية أنَّها تمسك به من أوراق الثَّورة السُّوريَّة. السعودية تحسب أنَّها تمسك بأكثر من ثمانين بالمئة من أوراق وقيادات الثَّورة السُّوريَّة عندنا فرضت نفسها متحكماً وحيداً بدعم الجيش الحر وتسليحه وغير ذَلكَ كثير. ولذَلك تحسب أن إيقاف تقدم الثَّورة وفرض خريطة الطريق التي تحملها بيدها منذ أوائل أيام الثَّورة. ولَكنَّهَا لم تطرحها، حَتَّىٰ أوجدت الظروف المناسبة للقدرة علىٰ فرضها علىٰ الثَّورة.

هٰذا إذن ليس لعباً علىٰ الطويل. هٰذا ليس ممارسة جديدة علىٰ الإطلاق. منذ بداية الثَّورة لعبت العرب والمجتمع الدولي هٰذه اللعبة مرات عدة. في أواخر عام ٢٠١١م وفي حين كان الجميع يترقب انهيار النِّظام وسقوطه دعت الجامعة العربيَّة إلىٰ اجتماع بعد ثلاثة أشهر، وتزامن معها تفكير مجلس الأمن الدولي باجتماع مماثل بعد أشهر... إحباط مخطط لا مصادفة كتبت عنه في حينه.

في أواخر عام ٢٠١٢م وأوائل عام ٢٠١٣م كانت بوادر انهيار النِّظام علىٰ أشدها، وكتبت حينها: النِّظام ينهار والمجتمع الدولي يبحث في كيفيات إنقاذه وانتشاله. وكان منها الممارسة الإحباطية والدعوة إلىٰ جنيف٢ وإيقاف الجبهات، والحديث عن اجتماعات ودعم بعد ستة أشهر... في حين أنَّ الجميع يترقب سقوط النِّظام كانت الدول العربيَّة والأمم المتحدة وأمريكا يتحدثون عن إجراءات بعد ستة أشهر... إحباط مخطط لا مصادفة.

لا أطيل في الشَّواهد، أقفز إلىٰ اليوم. اليوم بعد تقدم هائل للثَّورة المسلحة علىٰ مختلف الجبهات وانهيار جيش النِّظام انهياراً تامًّا، وعجزه عن الصمود في أي جبهة من الجبات، أي جبهة تتقدم إليها الثَّورة المسلحة تنهار خلال أيام قليلة، والثَّورة المسلحة في تقدم من مكان إلىٰ مكان، ولم يعد النِّظام يسير علىٰ أكثر من ربع المساحة السُّورية منها دمشق والساحل بل جزء من الساحل. وكل التوقعات تقول إنَّ بشار الأسد إن لم يكن قد غادر سوريا فهو ممسك بحقائبه لا يمنعه إلا التهديد الخارجي بعدم الخروج والمغادرة... في ظلِّ ذٰلكَ كله تأتي المملكة السعودية العربية لتقول سيبقى بشار الأسد ونظامه وستشاركه الثَّورة في

السُّلطة وستبدأ المباحثات بعد شهرين، ولا ندري متى تنتهي المباحثات ولا كيف ستنتهي، مثل جنيف٢ تماماً؛ فرض علىٰ النِّظام الثَّورة التفاوض من دون ورقة عمل ومن دون ضمانات، ومن نتائج متوقَّعة إلا إمكان استمرار المفاوضات عشر سنوات كما قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف... ورُبَّما تنتهي المفاوضات كما انتهت في اليمن بالرعاية ذاتها أي ببقاء النِّظام حاكماً متحكماً بكلِّ شيءٍ أساسيٍّ، والثَّورة والثُّوار وَرَقُ تواليت يستخدم عند إخراج أي قرار إلىٰ بالوعة المرحاض.

وليس هٰذا فحسب، بل إنَّ الإئتلاف الذي يمثل الثَّورة، وبقراراتٍ عربيَّةٍ ودوليَّةٍ يعدُّ ممثلاً للشَّعب السُّوري، بغضِّ النظر عما فيه من إشكالات، تَمَّ تهميشه لصالح معارضةٍ تابعةٍ للنِّظام، ومعارضاتٍ لا أصل لها ولا فصل، ولها توجهات مناهضة للثَّورة... كلها فُرِضَتْ لتكون ممثلاً للثَّورة والشَّعب السُّوري!!! فتخليوا.

هٰذا ليس تحليلاً، هٰذا ليس توقعاً، هٰذا ليس استنتاجاً، هٰذا حقيقة ما يحدث ويدور ويخطط له. وسيذكر التاريخ أنَّ النِّظام الإقليمي العربيكاني هو الذي تحكم بأنفاس الجيش الحر وصار يقتر عليه تقتيراً عندما يحتاج أن يفعل شيئاً، ويمنعه من التَّقدُّم والتَّحرُّك بقطع المدد في اللحظات الحرجة.

سنتان والجيش الحرُّ تحت هٰذه السَّيطرة؛ كلما تحرك في مكان تَمَّ التضييق عليه وخنقه حَتَّىٰ يتوقف علىٰ الرَّغْمِ منه وهو في ذروة الحماس والانتصار والتَّقدُّم. المتابعون للثَّورة السُّورية باهتمام كانوا يرون الوقفات المربكة للتحليل السِّياسي والعسكري والاستراتيجي حَتَّىٰ اعتزل المحللون المحترفون التحليل وبرز أشباه المحللين

يتفلسفون ليسدوا الفراغ، اعتزل المحللون المحترفون لأنه وضعوا في مواقف محرجة بسبب الحراك غير المفهوم للجيش الحر علىٰ مختلف الجبات، ما تفتح من جبهة إلا وتنام الجبهات كلها نوماً لا يمكن لأحد تفسيره، وحَتَّىٰ الآن هٰذا السُّلوك قائمٌ. هناك من يريد أن يقول للنِّظام: اطمئن، لا تخف، ركِّز جهودك علىٰ الجبهة المفتوحة وأنت مطمئن.

ومع ذٰلكَ فإن الانتصارات تتالى علىٰ نحو غير متوقع لمن يتحكم بحراك الجيش الحر، ولذٰلك فرضت علىٰ الجبهات الأُخْرَىٰ أن تستلقي وتنام، أو فرضت عليها صراعات داخلية لإشغالها عن التقدم باتجاه النِّظام. ومع ذٰلكَ ذٰلكَ فإنَّ ما حدث ويحدث من انتصاراتٍ مدهشةٍ في الأشهر الأخيرة لم يكن ليخرج عن هٰذا الإيقاع، ثَمَّة وراء الأكمة ما وراءها. تناولت ذٰلكَ بتفصيل في مقال الأمس، وأقول باختصار: إنَّ هٰذا التقدم كله خوفاً من أن تكون الدَّولة الإسلاميَّة هي الأسبق لملئ الفراغ، ولذٰلك تغاضوا عن تقدم الجيش الحر، أو رُبَّما دفعوه لملئ الفراغ الذي لم النِّظام قادراً علىٰ سدِّ ثغرته.

قد يستطيع النِّظام الإقليمي العربيكاني تمرير مخطِّطهم الذي عملوا عليهم علىٰ مدار الثَّورة لإسقاط الثَّورة أو عدم نجاحها وفرض سلطة من العملاء الذين باعوا الله ليتخووزقوا على كراسي السلطة...

قد يستطيعون ذٰلكَ ولٰكنَّهُم لن ينجحوا، ولن يسامحهم الشَّعب السُّوري الذي ذاق منهم مثل ما ذاق من نظام بشار الأسد ولٰكنَّ من دون رصاص وصواريخ وبراميل.

تزعم الأنظمة العربيكانية وفوقها أمريكا أنَّهُم يحمون الأقليات، ويزعمون أنهم يريدون تمرير أو فرض الحل السِّياسي من أجل حماية

الأقليات... ويضحكون على بيادقهم من قيادات الثَّورة بهٰذه المزاعم، وهؤلاء البيادق يحسبون أنَّ أمريكا وعصاها من زعماء العرب حريصون على الأقليات ويسعون لحماية الأقليات... وهٰذه أسطورة الأساطير وخرافة الخرافات.

إنَّ أكبر كذبة تضحك بها أمريكا والغرب على منطقتنا، وبالتوافق والتنسيق مع الأنظمة العربيكانية يضحكون علىٰ الثَّورة السُّوريَّة، هي حماية الأقليات إلا إذا كانت تعني الأقليات غير المسلمة تحديداً لأنَّنا شاهدنا بأعيننا مجازر الأكثرية المسيحية بالأقلية المسلمة في إفريقيا الوسطى، ومجازر الأكثرية البوذية بالأقلية المسلمة في مينمار ولم يتحرك لهم ضمير أو تصريح أو اعتراض، وغيرها من مثلها.

لسنا نحن العرب ولا المسلمين من يشترك عليهم حماية الأقليات، ولا من تفرض عليهم حماية الأقليات، ولا من يحتاج إلىٰ مواعظ في حماية الأقليات... راجعوا التاريخ القريب والبعيد والمتوسط وستجدون أننا نحن آخر من يحتاج إلىٰ دروس ومواعظ في ذٰلكَ. وإذا نظرما إلىٰ الخريطة الحالية في المنطقة وجدنا أن من يحتاج إلىٰ ضمانات هم الأكثرية، الأكثرية هي التي تتعرض للإبادة وليست الأقليات. ومع ذٰلكَ يريدون ممن تعرض للإبادة والتهجير والتشريد والنهب أن يقدم ضمانات وحماية لقاتله!!!

أمريكا في حقيقة الأمر تريد تفتيت المسلمين تحديداً تحت ذريعة حماية الأقليات .ولا مانع لها من أيِّ مجزرة وإبادة بحقِّ المسلمين إن كانوا أقلية أو أكثرية.

المسألة لا تحتاج إلىٰ برهان والأدلة أسطع من الشَّمس وأوضح من الوضوح، إنها علىٰ أعين الناس جميعاً بالصور والوثائق والمشاهد الحية وأحياناً بالنَّقل المباشر... إِنَّهَا تفوق البداهات قوَّة إقناع. وعندما تكون البداهات تحت الأرجل، والفانتازيا هي الواقع الذي يؤمن به الإنسان ويصدقه واثباً فوق البداهات، فمن الطبيعي أن لا تجد أمامك ما يمت إلىٰ العقل بصلةٍ. ولا يبقى أمامنا إلا نقول: أين قوم لوط يتعلموا الفجور من أهل هٰذا الزَّمان؟ إنَّ الشَّيطان ليعوذ بالله من أناس هٰذا الزَّمان.

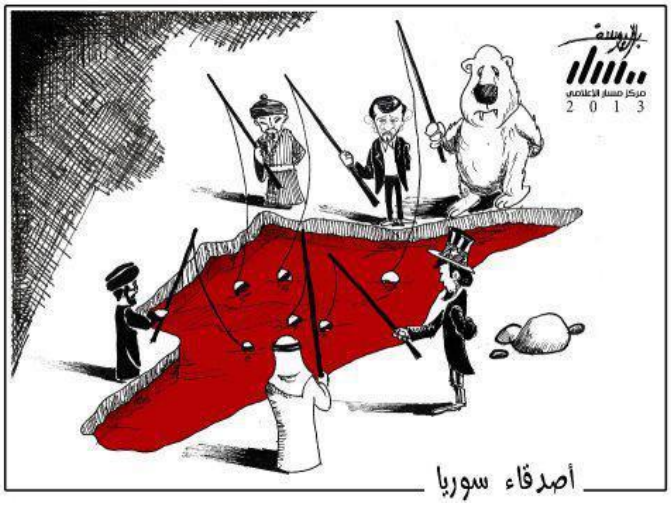
مركز مسار الإعلامي
2013
أصدقاء سوريا

الفصل الحادي عشر

المخطط العربيكاني في حال سقوط الأسد

الحقيقة التي يجب أن تكون راسخة في أذهان الجميع هي أنَّ ما يشغل بال الغرب وأمريكا والأنظمة العربيكانية هو أمن إسرائيل[١٢]... أمن إسرائيل مهما كلف ذَلكَ السُّوريين وحَتَّىٰ العرب من دماء. نعم الأنظمة العربيكانية لا هم لها إلا أمن إسرائيل، وبسبب أمن إسرائيل دمرت الثَّورة السُّورية بتعاون قادة الثَّورة الخونة والعملاء واللصوص الذين

(١٢) .كتب لهذا المقال في ٢١/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

أعمتهم السرقات والنهب والحصول على الدعم والمطامع الشخصية فباعوا الوطن وكرامة الوطن ودماء الشهداء وعذابات نحو ستة عشر مليون من المشردين السُّوريين في الداخل والخارج، ونحو نصف مليون معتقل، ودمار نحو سبعين بالمئة من البنية التَّحتية في أرجاء سوريا.

هٰذا الهاجس علىٰ أمن إسرائيل هو ما حكم تعامل الحكام العربيكان مع الثَّورة السُّورية منذ بداياتها. ولا أعلن سرًّا إذا قلت إنَّ أول مشروع طرح علىٰ المجلس الوطني السُّوري في عام ٢٠١١م هو ضمان أمن إسرائيل مقابل دعم الثَّورة. طرح عليهم هٰذا الشرط ثمن شروط لا تقل عنها وساخة من قبل دولة عربية لا من قبل أمريكا ولا روسيا. وعندما لم يجدوا قدرة علىٰ ضمان هٰذا الشرط أعملوا معاول الهدم علىٰ الفور في المجلس الوطني وبدأ النخر فيه بمختلف الطرق حَتَّىٰ تم تأسيس الإئتلاف الوطني، وعلىٰ الفور استقال أول رئيس للإئتلاف عندما تلقى مثل هٰذه الشرط مباشرة أو تلميحاً، وألمح إلىٰ ذٰلكَ. لا أستطيع الجزم فيما إذا كان معاذ الخطيب قد تلقى سلة الشروط هٰذه ذاتها علىٰ نحو واضح ومباشر أم أنهم جربوه بغيرها مما يشببها حَتَّىٰ استقال. هو وحده من يستطيع البت في ذٰلكَ، ولكني علىٰ يقين من عرض سلة الشروط هٰذه علىٰ المجلس الوطني.

عندما بدا أيضاً أن الإئتلاف غير قادر علىٰ تلبية سلة الشروط هٰذه أيضاً بدأ الطعن فيه وتفتيته وشرذمته رويداً رويداً حَتَّىٰ وصل إلىٰ حالة الموت السريري منذ نصف سنة تقريباً. وفي هٰذه الأثناء كانت الخطة البديلة تسير بانتظام وهدوء منذ ما قبل تأسيس الإئتلاف وهي احتواء الجيش الحر، وتصفية الشرفاء، والذين يبدو أنَّهُم سيعيقون الخطة العربيكانية في ضمان أمن إسرائيل... والتركيز علىٰ

(الحبابين) الذين يسمعون الكلام، ويطيعون الأوامر، ومن يعميهم الطمع الشخصي بمنصب أو مال، لأنَّ قيادة أمثال هؤلاء سهلة. وهٰذا ما نجحوا فيه إلىٰ حدٍّ بعيد.

الآن وصلت الأمور إلىٰ مداها، ولم يعد للنظام قدرة علىٰ الصمود، وانهيارة قد يكون بَيْنَ عشية وضحاها، والمؤكد أنَّ هٰذه الأنظمة مع أمريكا هم من يفرض عليه الصبر ريثما يتم ترتيب الأمور وتنسيقها بفرض قيادات ممتثلة للأوامر والتعليمات الموسادية السي آي إيويه بوساطة عربية، أو مباشرة من دون حياء.

الأمور غير مكتملة معهم حَتَّىٰ الآن، وبشار الأسد لم يعد قادراً علىٰ الصبر، وحقائبه جاهزة منذ فترة. فماذا يفعلون؟

أمريكا وروسيا عقدتا اجتماعات عاجلة للتباحث فيما بعد الأسد. ولٰكنَّ الأنظمة العربيكانية، بأوامر أو تنسيق مسبق مع أمريكا، وضعوا المخطط منذ سنتين علىٰ الأقل، ومنذ سنتين يتم تسريب المخطط بَيْنَ الحين والحين لتعويد الشَّعب السُّوري علىٰ التآلف مع هٰذا المخطط، والانسجام معه، وتقبله... علىٰ أساس أنَّ الشَّعب السُّوري هو كلب بافلوف يمكن تدريبه علىٰ الاستجابة الشَّرطية خطوة خطوة.

ما هٰذا المخطط؟

منذ أكثر من سنتين وهم ينشرون تسريبات متنوعة غايتها واحدة. التسريبات تقول بتقسيم سوريا، وتوزيع سوريا علىٰ دول الجوار، ودخول قوات عربيكانية إلىٰ الجنوب وإلىٰ الشمال.

هٰذه التصورات كلها كما أوضحنا من أجل تعويد السُّوريين علىٰ التآلف معها وقبولها. وهي كلها في حقيقة الأمر مخططات وليست تسريبات. التقسيم

المرفوض رفضاً قاطعاً هو مشروع عربيكاني يهدف إلىٰ التهديد والتخويف من أن سوريا سيتم تقسيمها ولذلك عليكم أيها السُّوريون القبول بما سنفعل دون ذلكَ، أو لجعل السُّوريين يقبلون بما دون التقسيم من مشاريع، علىٰ أساس أنَّها أفضل من التقسيم. ومع ذلكَ لو اضطرهم الأمر إلىٰ تقسيم سوريا من أجل حماية إسرائيل فإنَّهُم لن يتورعوا عن ذلكَ. علىٰ أساس أنَّ التقسيم لمنع حرب أهلية، أو أن التقسيم نتيجة طبيعية، أو أنَّ التقسيم هو ما جنته الثَّورة علىٰ السُّوريين، أو غير ذلكَ.

إلىٰ جانب التقسيم، والكلام نفسه يقال عليه، هو وضع الشمال والجنوب تحت الوصايات العربيَّة والتركية وحَتَّىٰ الإسرائيليَّة بطريقة أو بأُخْرَىٰ. ما قلنا علىٰ التقسيم يقال هنا حرفيًّا أيضاً.

هٰذا التَّسريبان لتمرير التَّسريب الثالث أكثر بسهولة ويسر ومن دون ممانعة أو اعتراض وهو دخول قوات عربية؛ سعودية أردنية، للسيطرة علىٰ الجنوب وصولاً إلىٰ دمشق أو تخومها أو حَتَّىٰ شمالي دمشق. ودخول قوات تركيَّة مع دولة عربيَّة أُخْرَىٰ (مُحْرِم) للسيطرة علىٰ الشمال بعيداً عن الأكراد، أي حلب وإدلب.

قوات الشَّمال علىٰ ما يزعمون لحماية العلويين ومنع الحرب الأهلية، ومنع الثأر والانتقام من العلويين. وهٰذا فيه ما فيه مما كتب عنه عن حماية الأقليات ومقاصدها اللاخيرية. ولٰكنَّ دخول قوات تركية وعربية للسيطرة علىٰ الشمال ليست مقصودة لذاتها ولا لحماية العلويين ولا غيرهم ولا لمنع حرب أهلية كما يزعمون ويروجون علىٰ الإطلاق. وإنما لتمرير احتلال الجنوب أو السيطرة عليه من قبل القوات العربية، ورُبَّما الإسرائيلية معها علىٰ مساحات محددة، وعمق محدد.

السيطرة علىٰ الشمال ديكور فقط لتمرير مشروع حماية إسرائيل، والسطيرة علىٰ الحدود السُّورية الإسرائيلية ومنع الجيش السُّوري الحر أو النصرة أو غيرها من تشيكلات الثَّورة من الاقتراب من الحدود الإسرائيليَّة ومنع إزعاج إسرائيل. وقد أعلنت إسرائيل منذ أسبوع تقريباً أنَّها وضعت سلة أهداف للجيش الحر وتشكيلات الثَّورة المسلحة ستضربها فور سقوط الأسد.

كتبت في بدايات الثَّورة، والمقال موجود في كتابي لوحات من ألم الثَّورة الصَّادر عام ٢٠١٤م، وعلىٰ مواقع التواصل الاجتماعي في حينه، عندما ناشد السُّوريون المجتمع الدولي للتدخل في سوريا، كتبت: إنَّ الغرب وأمريكا سيتدخلون فقط عندما يحمل الأسد حقائبه ويرونه يغادر السلطة. عندها ستدخلون لأمرين أولهما السيطرة علىٰ الوضع لعدم تهديد إسرائيل، والثاني إيهام السُّوريون بأنهم ساعدوا الثَّورة ومن حقهم الحصول علىٰ مكافأة.

يبدو أنَّ أمريكا لا تريد التَّورط في سوريا كما تورطت في العراق، ولذلك أوكلت هٰذه المهمة للأنظمة العربيكانية وليقتتل الجميع، وليدخل الجميع في حرب مجنونة... وقد نجحت في ذَلكَ أصلاً في الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة، وإشغال الميلمين ببعضهم بعضاً وترك إيران تتمد علىٰ راحتها في المنطقة.

لا يمكن أبداً بحال من الأحوال الاقتناع بأن أي تدخل عربيكاني في سوريا هو من أجل السُّوريين، لا اريد العودة إلىٰ تفاصيل ما مضى، ولٰكن لا يمكن إلا أن أتساءل: لماذا يكون التدخل العسكري في هٰذا الوقت بالذات؟ لماذا فقط عندما يسقط النظام تريدون إدخال جيوشكم إلىٰ سوريا؟ أي حرص هٰذا علىٰ سوريا أو السُّوريين؟

لا يمكن أبداً الاقتناع بأيهم حريصون علىٰ سوريا أو السُّوريين، ناهيكم عن معاملتهم اللاجئين السُّوريين والسُّوريين الموجودين في بلادهم قبل الثَّورة كيف تغيرت معاملتهم لهم بعد الثَّورة. فأي حرص هٰذا؟

أي حرص علىٰ السُّوريين إذا كان التدخل سيكون بعد سقوط النظام ورحيل القتل الأكبر والأساسي؟ وأي حرص علىٰ سوريا بعدما دمرت ثلاثة أرباعها وقد رحل من دمرها؟

السُّوريون يدركون هٰذه الحقائق. وسوريا لن تكون لأحد غير السُّوريين. ولن تستطيع قوة في الأرض أن تقهر السُّوريين. إن نجحتم في مخططاتكم فنجاحكم مؤقت، وستدفعون الثمن.

الفصل الثاني عشر

عندما تكون الثورة مؤامرة

هناك من يخلط بَيْنَ التَّحليل والتَّحليل. هناك تحليلٌ بمعنى تفكيك من أجل الفهم والتَّفسير، وهناك تحليلٌ بمعنى جعل الحرام حلالاً، أو بمعنى آخر حرف الموضوع عن أصله لينسجم مع الرغبة(١٣).

وفي إطار هٰذا السياق يمكننا القول: إنَّ ما نراه من تحليلات سياسية على الفضائيات ووسائل الإعلام من مقالات وأبحاث وتعليقات

(١٣) .كتب هٰذا المقال في ٢٢/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

ليس كله تفكيك الحدث من أجل فهمه وتفسيره والبناء عليه، وإنَّما فيه الكثير من التَّحليل بمعنى تحوير الحدث بما ينسجم مع رغبات المحلل وتطلعاته...

بعض هؤلاء المحللين يمارسون ذلكَ عن وعي وقصد، وهؤلاء هم المزورون المفبركون... وبعضهم يمارس ذلكَ عن غير وعي لعدم وجود وعي تمايز، لعدم وجود خلفية كافية ومناسبة لممارسة مهمة التَّحليل التَّفكيكي، لعدم وجود الكفاءة الفكريَّة المطلوبة لممارسة عملية التَّحليل التفكيكية، ولذلك يلخطون بَيْنَ الرغبة والتنبؤ، بَيْنَ التَّحليل والتَّحوير... وهم أكثريةٌ كبيرةٌ من المحللين في حقيقة الأمر. ولذلك تجدهم يتقلبون في الأفكار تبعاً لتقلب الأحداث، لأنَّ قدرتهم التحليلية والتَّفكيريَّة دون عتبة المنهجيَّة العلميَّة والموضوعيَّة، دون عتبة التَّفكير المنطقي، إمَّا لانخفاض عتبة العقل أو لضحالة الثَّقافة والمعرفة...

الفريقان كلاهما يمارس عمليَّة تضليل وتشويه وتخريب، ولذلك توضح مجموعات بشريَّة دائماً أمام مساراتٍ مربكةٍ بسبب هؤلاء الأدعياء وأبطال التَّطفُّل وفطاحل الفبركة والتَّزوير. وأنا لا أتحدَّث هنا عن مجموعات البشر العمياء إرادة وإصراراً التي لا تريد أن تفهم ، ولا تقبل أن تعترف إلا بما يدور في رأسها من قناعات مع إدراكها أو عدم إدراكها أنَّها علىٰ خطأ وانحراف، شبيهة بمبدأ عنزة ولو طارت، وفي مثلها يقال: فالج لا تعالج.

عندما أسمع شيخاً شهيراً وله الجمهور الكبير العريض ويحمل دكتوراه ويقول: «الأسد طاغية، ولٰكنَّ ما يحدث في سوريا مؤامرة». لا أستطيع إلا أن

أتحوقل من كلِّ المشايخ بسبب رقاعة مثل هٰذا الشَّيخ... خاصَّة وأنَّ هٰذا الشَّيخ الدكتور ليس سوريًّا ولا من أبواق بشار الأسد، ويدعي وقوفه مع الجماهير والشعوب.

الثَّورة لا يمكن أن تكون مؤامرة أبداً مهما كانت تشربكاتها وتعقدياتها وتداهلاتها وتخارجاتها. نعم، الآن بعد سنوات علىٰ بدء الثَّورة، وحَتَّىٰ بعد بدء الثَّورة بوقت غير بعيد تعرضت الثَّورة للاختراق، وتدخلت أصابع المؤامرة في سوريا، وسوريا معرضة للمؤامرة قبل الثَّورة... كل ذٰلكَ صحيح، ولٰكنَّ الثَّورة ليست مؤامرة أبداً، لم يخرج الشَّعب السَّوري تلبية للمؤامرة علىٰ سوريا، لم يثر الشَّعب السَّوري خدمة للمؤامرة علىٰ سوريا ولا تناغماً معها بحال من الأحوال.

عندما تكون الثَّورة ثورة حزب أو حركة أو تنظيم أو بقيادته يمكن أن نقبل التَّفكير في أن تكون مؤامرةً داخليَّةً أو خارجيَّةً، وفي الوقت ذاته ليس من الضروري أن تكون مؤامرةً. ولٰكن عندما تكون الثَّورة شعبيَّة، ثورة شعب فلا يمكن بحال من الأحوال أن تكون مؤامرة مهما كانت التداخلات فيها من ركوب الأحزاب لها أو اختراقها من الخارج.

الثَّورة السَّورية ثورة شعب لا ثورة حزب، ولا ثورة حركة، ولا ثورة طائفة، ولا ثورة تنظيم... الثَّورة ثورة شعب حَتَّىٰ وإن بدت أو ترك المسلمون (السنة) وحدهم تقريباً في ميدان الثَّورة. وعلىٰ افتراض أنَّ الثَّورة السَّورية ثورة المسلمين (السنة) علىٰ النِّظام فهٰذا لا يقلل من قيمتها، لا يمكن أن تسمى ثورة طائفة لأنَّ المسلمين هم تسعين بالمئة من الشَّعب السَّوري، أي هم الشَّعب السَّوري.

الإعلام السَّوري منذ الساعات الأولى للثورة وهو يقول إنها مؤامرة خارجية حَتَّىٰ وصل الأمر في الأشهر الأولى من الثَّورة إلىٰ القول بأنها مؤامرة كونيَّة تشترك فيها الكرة الأرضية كلها ما عدا إيران وروسيا والصين.

كان من الواضح أنَّها ثورة منذ البداية ومع ذَلكَ يمكن تفهم فلسفة الأنظمة المستبدة في اتهام الثَّورة بالمؤامرة، ولٰكن بعد أن انخرط معظم الشَّعب في الثَّورة خلال أشهر قليلة أتساءل كيف استطاع النِّظام أن يسير في هٰذه التهمة الشنيعة بأنَّ الثَّورة مؤامرة وخيانة وعمالة لإسرائيل والغرب!!!

كتبت غير مرَّة بأن محض تعامل النِّظام وإعلامه وأنصاره مع الثَّورة الشَّعبية الشاملة تقريباً بأنها خيانة وتنفيذاً لمؤامرة ضد الوطن هو وحده أمر استفزازي إلىٰ أبعد الحدو وتحريض للشعب علىٰ استمرار الثَّورة لأن النِّظام في هٰذه الحال يتهم الشَّعب بالخيانة... أيعقل أن يكون الشَّعب كله خائن؟ ما هٰذه التركيبة العجائبية لهذه الدولة: الشَّعب خائن والنِّظام وطني؟!

سيوجد من يطعن في أنَّ الثَّورة ثورة شعبية شاملة. حسناً، هٰذا اعتراض غير منطقي وغير واقعي، وغير مقبول أبداً، لن أقول بدليل أنَّ كل المحافظات والمدن السَّورية تقريباً خرجت في مظاهرات الثَّورة ضد النِّظام وهٰذا ما حدث فعلاً، سأقول معهم إنها فبركة في استديوهات الجزيرة في قطر. ولٰكن ماذا يمكن أن نقول عن تشريد أكثر من ثلثي الشَّعب السَّوري من قبل جيش النِّظام وشبيحته بسبب القصف بمختلف أنواع الأسلحة الثقيلة بما فيها الطيران؟

الغريب المدهش العجيب أنَّ إعلام النِّظام وأنصار النِّظا يتهمون الثوار (الإرهابيين) بأنهم هم من شرد خمسة عشر مليون سوري نصفهم خارج سوريا؟ ويتهمون الثوار (الإرهابيين) بأنهم هم من قتل أكثر من نصف مليون مواطن سوري، مثلما فعلوا في اتهام الثوار بأنهم هم من ضرب أنفسهم بالكيماوي في مناطق متعددة في وقت واحد بمصادفة لا يمكن أن تحدث أبداً.

حسناً، فماذا يمكن أن نقول في أكثر من ثلاث ملايين سوري دخلوا معتقلات النِّظام منذ أول الثَّورة، وما زال أكثر من نصف مليون منهم رهن الاعتقال؟

هل (الإرهابيون) هم من أدخلوا هؤلاء جميعاً في معتقلات المخابرات السَّورية؟ أم أنَّهُم هم أنفسهم اقتحموا المعتقلات وأقاموا فيها وأماتوا أنفسهم تحت التعذيب وصوروا أنفسهم تحت التعذيب وسربوا هٰذه الصور لوسائل الإعلام؟

طيب، وماذا نقول وبشار الأسد نفسه وعلىٰ الملأ في لقاء تلفزيوني لا يجهله أحد لكثرة تكراره علىٰ المحطات التلفزيونية قال: «هناك ملايين الإراهبيين السَّوريين... السَّوريين وأنا لا أتحدث عن الأجانب»؟! والصين والهند اللتان يبلغ سكانهما نصف سكان البشرية ليس فيهما ألف إرهابي؟!؟

حبل الكذب قصير، كلمة قالتها الشعوب كلها منذ آلاف السنين وما زالت لا تجد أصدق منها. كل الاتهامات باطلة من جهة وتحشر النِّظام وأنصاره في أحرج الزوايا من جهة ثانية، وتدين النِّظام وأنصاره من جهة ثالثة.

سنتجاوز هٰذه الادعاءات كلها، ونعدها صحيحة. سنعد أن الشَّعب كله إرهابي كما قال الأسد نفسه. وأن الثَّورة التي قام بها الشَّعب كله تقريباً مؤامرة علىٰ الوطن. طيب، أيعقل أنَّ أحداً لم يسأل ذاته كيف يمكن لشعب كله تقريباً أن يكون مستعدا للانخراط في مؤامرة خارجية؟

أفليس هٰذا بحد ذاته إدانة للنظام؟

متى يكون شعب كامل مستعداً للانخراط في مؤامرة ضد النِّظام؟

من أجل التمييز لا يمكن لشعب أن ينخرط في مؤامرة ضد الوطن تحت أي سقف أو ذريعة أو إغراءات ومهما كان الشَّعب متخلفاً أو حَتَّىٰ تافهاً... هٰذه خرافة لا يمكن تصديقها. ما يمكن قبوله تجاوزاً هو انخراط الشَّعب في مؤامرة ضد النِّظام الحاكم في وطنه. والسؤال: متى وكيف ولماذا ينخرط شعب في مؤامرة ضدَّ سلطته الحاكمة؟

أيوجد في تاريخ البشر عقلٌ يمكن أن يقبل بأنَّ شعباً كاملاً قبل أن يكون عميلاً ضدَّ نظام الحكم في بلده إلا إذا كان لخلل في هٰذا النِّظام يفوق قدرة البشر علىٰ تحمله؟ وفوق ذٰلكَ أيضاً هل شهد تاريخ البشرية منذ آدم إلىٰ يومنا هٰذا أنَّ شعباً كاملاً تآمر مع الخارج علىٰ نظام وطنه؟ هل السَّوريون وحدهم الاستثناء الوحيد في تاريخ البشرية؟

أصلاً لا يمكن أن يستقيم هٰذا مع أي عقل مهما كان معوجاً وفانتازيًّا ومغرقاً في الخيال.

القول بأن الثَّورة مؤامرة كلام ممتنع منطقيًّا وواقعياً. والقول بأنَّ الثَّورة السَّورية مؤامرة كذبة لا يمكن أبداً تصديقها، كذبها النِّظام وأنصاره

وهم يعرفون أنَّها كاذبة، والمصيبة أنَّهُم يعرفون أنَّها كاذبة بدليل شعاريهم الشَّهرين الذين بدأ بهما التَّعامل مع الثَّورة: الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد. هٰذان الشِّعاران وحدهما دليل علىٰ أنَّهُم يتعاملون مع ثورة لا مع مؤامرة.

الثَّورة لا يمكن أن تكون مؤامرة؛ لا الثَّورة السَّورية ولا غيرها. المؤامرة هي سلوك النِّظام ضد الثَّورة، والمؤامرة هي التي يفسح النِّظام لها في المجال إذا لم يستجب لمطالب الثَّورة.

وإن كانت الثَّورة مؤامرةً فهٰذا دليل قاطع علىٰ انَّ النِّظام الحاكم خائنٌ أو فاسدٌ إلىٰ الحدِّ الذي ما عاد الشَّعب يحتمله أو يقبله مهما كان مستبدًّا ووحشيًّا بدليل أنَّهُ مع كل استبداديَّة النِّظام ووحشيته قبل أن يتعرض لهذه الوحشيَّة مقابل التَّخلص من هٰذا النِّظام.

هٰذه هي الحقيقة ولا شي شيء غيرها.

تصفية أمريكا
www.aljazeera.net

الفصل الثالث عشر

عودة إلى الحسم العسكري

لا توجد ثورةٌ لا تنتهي بغير الحسم العسكري[١٤]؛ إمَّا لصالحها (هٰذا حال الثَّوارت عامَّةً) أو لصالح النِّظام الذي ثارت عليه (سوريا ١٩٨٠م، الجزائر ١٩٩٠م، إيران ٢٠٠٦م، الثَّورة المصرية ٢٠١٢م بثورة مضادة). والثَّورة التي تنتهي بمصالحة تكون المصالحة مفتاح حرب أهليَّة في أغلب الأحيان، وفيما تبقى من احتمال لن يكون هناك استقرار ولا بنية دولة حَتَّىٰ إشعار آخر (اليمن أنموذج من حالات قليلة لهٰذا الاحتمال).

(١٤) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٥/٣١م، ونشر في الفترة ذاتها.

هٰكذا يقول التَّاريخ ومنطق التَّحليل. فهل سوريا استثناء؟

منذ بدأت انتصارات الجيش الحر في سوريا في أواخر عام ٢٠١٢م وأمريكا وإسرائيل والدول العربية لا يوجد في تصريحاتها إلا استحالة الحسم العسكري في سوريا. بل حَتَّىٰ النظام ذاته من خلال إعلامه والمدافعين راحوا يكرِّرون الفكرة ذاتها؛ شريف شحادة، طالب إبراهيم وغيرهم من اللبنانيين ثمَّ أكثر إن لم يكونوا كلهم منذ سنة ونصف تقريباً إلىٰ الآن. بل إن نائب رئيس الوزراء، حينها، قدري جميل قال في مقابلة مع صحيفة ذي جارديان البريطانية واصفاً الثورة بأنها حرب أهليَّة: إنَّ الحرب الأهليَّة في سوريا وصلت إلىٰ طريقٍ مسدودٍ ولا يوجد لدى أيٍّ من الطرفين القوة الكافية لهزيمة الآخر.

هل هي رغبة، أم لعبة، أم تخدير، أم أنَّ سوريا هي الاستثناء الوحيد في التاريخ؟

رُبَّما تكون استثناء علىٰ اعتبار أنَّ سوريا كانت الاستثناء في كلِّ ما يخطر في البال ولا يخطر، ولا يمكن لدولة أوة شعب أن ينافسها في الأمور الاستثنائية التي كتب عنها الكثيرون منذ بداية الثورة، وتضاعفت هٰذه الاستثناءات مئات بل آلالف المرات والأنواع.

حسناً، لنقبل ما يروجون له جميعاً: لا يمكن الحسم العسكري ولا بديل عن الحلِّ السِّياسي. ما الخطوة التالية إذن، وما الذي يجب أن يسبقها؟ ألا يفترض أن تقوم الأطراف بخطوات توحي بقابلية الدخول في حل سياسي؟

هٰذا الموضوع ناقشته في حقيقة الأمر أكثر من مرة مذ بدايات الدفع بفكرة الحل السياسي. للأسف لم يتغير شيء في الواقع منذ طرح الأمر رسميًّا في عام ٢٠١٢م. الجديد هو الاستمرار في الخطوات ذاتها

ومزيد من التصعيد فيها. ولذلك أتساءل: كيف يمكن الاقتناع بأنَّ النِّظام السُّوري لديه أيُّ نيَّةٍ لأيِّ حلٍّ سياسيٍّ وهو ما زال يلقي البراميل المتفجرة بوحشيَّةٍ لا يمكن تصديقها على الأحياء المدنية في أرجاء سوريا لا في مكانٍ واحدٍ؟!

لو كان لديه أيُّ نيَّةٍ لأيِّ حلٍّ سياسيٍّ لخفَّف من قصف الشعب بالبراميل وغيرها. يبدو أنَّ النظام سيظلُّ حَتَّىٰ آخر لحظة يأمل بالقضاء على الثَّورة ولو خلَّص على الشَّعب كله... بل بمن فيهم الموالين إذا شئتم الدِّقة.

لو أنَّ بشار الأسد يخوض حربه مع إسرائيل واستمرَّ في إلقاء البراميل على المستوطنات الصهيونيَّة على رغم وجود بوادر حلٍّ سياسيٍّ من أجل تحسين شروط التفاوض والضغط على الأعداء لكان ذَلكَ أمراً عظيماً ولقي من تقدير الشعب الكثير الكثير...

ولكن أن تكون حربه ضدَّ شعبه، ويوجد كلام على حلٍّ سياسيٍّ، ويستمر في إلقاء البراميل التي تقتل العشرات وتدمِّر الكثير من الأبنية تدميراً شاملاً... من أجل تحسين شروط التفاوض مع الشعب وتحصيل أكثر ما يمكن من تنازلات من الشعب... فهذا ما لا يمكن تصوره ولا تخيله أبداً. وهٰذا يعني في أحسن حسن الظن والاحتمالات:

إما أنَّهُ لا يؤمن بالحل السياسي ولا يريده.

أو أنَّهُ لا يريد إلا تدمير سوريا وقتل أهلها سوريا والسوريين هم أعداء وليسوا شعباً.

إن كان من تفسيرٍ آخر أفيدونا.

هنا ينهض تصريح قاسم سليماني القائد البارز في الحرس الثوري الإيراني وقائد معارك النظام ضدَّ الشَّعب، الذي قال فيه أمس ٢٠١٥/٥/٣٣٠م: «ترقبوا مفاجئات نخطِّط لها مع النظام السُّوري».

ماذا يمكن أن نفهم من هٰذه المفاجآت والنِّظام منهارٌ انهياراً تامًّا؟

يتوقعون حشوداً وعمليات وإعادة سيطرة وهٰذا كله وهم لا يمكن تصديقه لأسباب واقعيَّة كثيرة جدًّا. ولٰكن عندما نفهم أن إيران تعتقد بوجوب مسح المدن العربية وأهلها عن وجه الأرض نفهم ماذا جرى وماذا يجري وماذا سيجري...

إذا كانوا يعتقدون بوجوب هدم الكعبة، فهل سيأبهون بسوريا كلها والعراق ولبنان واليمن وما بينهما؟

الجميل في النِّظام، ومثله إيران، أنَّهُ يقتل القتيل ولا يمشي في جنازته، بل يتهم القتيل بأنَّهُ القاتل ويستحق القتل. فعل ذٰلكَ، وإيران مثله، منذ بداية الثورة بطريقة فجة تدعو للغثيان... ما أكثر ما تكرر ذٰلكَ منذ بدايات الثورة، وما زال حَتَّىٰ الآن يتكرر. عجيب.

كيف بعد ذٰلكَ كله يمكن أن يفكر السوريون في مصالحة النظام والقبل بالحل السياسي؟

الذي يخدم النظام في هٰذا السياق هو أن قادة الثَّورة السِّياسية والعسكرية علىٰ درجة من الهزالة والهزلية والتَّفاهة والسَّطحية، والتَّسلق واللصوصية... تدفعهم للتفكير في مصالحة النظام والقبول بالحل السياسي، علىٰ الأقل فيما يفترض منطقيًّا. بعد أن رأى السوريون ما رأوه ممن برز على دمائهم وعذاباتهم وثوروتهم من سياسيين أدعياء أو أغبياء، ومتسلقين ولصوص وتجار دماء... بعد

أن رأوا ذَلكَ لو أنَّ بشار الأسد ترك فقط خمسة بالمئة من هامش احترام الشَّعب وخط رجعةٍ لفكروا في موضوع مصالحته.

ولو ترك بشار الأسد عشرة بالمئة من هامش احترام الشعب والمصالحة لفكروا أكثر.

ولٰكن لو ترك ٢٥% من مجال احترام الشَّعب خط الرجعة لأحسب أنَّهُم أقرب كثيراً من الإقدام علىٰ مصالحة النظام والقبول بالحل السياسيِّ، ولٰكن بشار الأسد ونظامه حطَّموا كلَّ شيء... لم يترك ولا واحداً بالمئة ولا واحداً بالألف ولا واحداً بالمليون ولا واحداً بالخمسين مليون من خط الرجعة أو احترام أيِّ حقٍّ من حقوق الشَّعب.

الشعب السوري لم يقبل مصالحة النظام ولا حلوله السياسية وهو في ذروة قوته العسكرية والسياسية والاقتصادية فكيف الآن والهروب هو سيد المواقف عند جيشه وقاداته، كيف الآن وهو في حالة انهيار تام عسكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا؟!

بطل النظام الأشهر العقيد سهيل حسن الملقب بالنمر منذ أكثر من نصف سنة لا يظهر إلا بعد نجاح الانسحاب التكتيكي وإعادة التجمع في منطقة بعيدة. إذا كان النمر كذَلكَ فماذا يمكن أن نقول عن القادة الآخرين والعساكر الذين لم يروا أهاليهم منذ سنوات؟

لقد بات الانسحاب والهروب هو البطولة التي يستحقُّ عليها ضباط الجيش السوري الأوسمة والألقاب؟

أختم بطرفة شهدتها عندما كنت طالباً في المرحلة الإعداديَّة، يوم تنطع أحد إداريي المدرسة مهدداً الطلاب الذين يهربون من المدرسة قائلاً:

«لوحظ أن بعض الطلاب ينطون من فوق الحيط... من سنكمشه ينط من فوق سنفصله من المدرسة ولا يعود إلى المدرسة إلا بعد أن يجيب ولي أمره».

كنت حينها في الصَّف التاسع إن لم تخني الذاكرة، وربَّما الثامن. ولكن ضحكت وضحك الطلاب جميعاً من هذه الفصحنة الخزندعية وظلَّت هٰذه الخطبة العصماء حديث أجيال ما زلنا نتذاكرها إلىٰ اليوم.

حالة التنطع والنطعنة للتفصحن والفصحنة والتفهمن والفهمنة قديمة وليست جديدة. وما يحدث اليوم من هٰذه التنطعات للتفصحن ممن لا يعرفون من الفصحنة أكثر من الفنحصة، ويتفهمنون ولا يفهمون من الفهمنة أكثر من النفهمة... أمر موجود في الأزمنة كلها. وأمثال هؤلاء هم الذي يخوضون فيما لا يعلمون ويقصون ويخرطون ويفصلون في الحلول السياسية والتَّقسيميَّة وغيرها. نكون في حَلٍّ وحال فنصير في حِلٍّ وترحال بحثاً عن التَّخريجات التي تردم الهوى والمشكلات التي يخلقها أمثال هؤلاء.

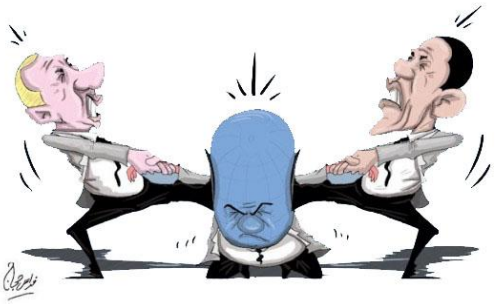

الفصل الرابع عشر

من الذي يريد تفتيت سوريا والمنطقة؟

تفتيت المنطقة وتذريرها ليس مسألة جديدةً علىٰ الإطلاق[١٥]. والمطامع الكامنة وراء ذٰلكَ ليست خفيَّة علىٰ أحدٍ ورُبَّما ليست خفيفة علىٰ أحدٍ علىٰ الإطلاق في العالم العربي والإسلامي. سبق الحديث فيها كثيراً في كثيرٍ من المقالات والأبحاث والكتب التي تندُّ عن الحصر.

(١٥) .كتب هٰذا المقال في ٦/١٤/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

لا أريد أن أطيل في ذَلكَ فتلك مسألة تبدأ ويصعب أن تنتهي. ناهيكم عن كونها مفهومةً لدى المواطن العربي، تدرَّس في الكتب الابتدائيَّة والإعداديَّة والثانويَّة. وفوق ذَلكَ بالكاد يمرُّ يوم لا تقف عنده وسيلة إعلامٍ أو أكثر من وسائل الإعلام العربي والإسلاميِّ.

أي إنَّ الأنظمة والشُّعوب معاً تعي هٰذه الحقيقة. وهٰذه هي مصيبة المصائب؛ أنَّهُ في ظل هٰذا العلم العام بهٰذه الحقيقة نجد أنَّ ممارسات الجميع تشير وكأنَّ أحداً من الطرفين لا يعي هٰذه الحقيقة.

سنقف عند محطَّات خاطفة سريعة من تطورات مسألة التَّقسيم والتَّفتيت والتَّذرير التي تسير في ركابها الأنظمة العربيَّة مع السياسات الدوليَّة في آن معاً.

الذي يفلق الرأس نصفين ألماً هو وزير الأوقاف السُّوري محمد عبد الستار السيد ومن يقف وراءه في القرار رقم ١٠١ الصَّادر في منتصف كانون الثاني ٢٠١٤م، والذي يقضي بأن تصبح مشيخة عقل الطَّائفة الدرزيَّة شخصيَّةً اعتباريَّةً تمثِّل الطَّائفة وتدير عقاراتها وتدافع عنها... والأنكى من ذَلكَ أنَّ هٰذا القرار يأتي تكميلاً لتقسيم المحافظات علىٰ أساس طائفيٍّ... ورُبَّما يصدر مثل هٰذا القرار للعلويين، وآخر للمسيحيين...

لا أعرف ما التَّعليقات علىٰ هٰذا القرار، ولٰكنَّهُ أسوأ من احتلال العراق بألف مرَّةٍ، لأنَّهُ شرعنة من النِّظام لجعل سوريا نسخةً من الطَّائفية التي تحكم لبنان... لبنان في المسألة الطائفيَّة أسوأ من العراق بألف مرَّةٍ، الطَّائفيَّة في العراق تقوم علىٰ أساس قوىٰ سياسيَّةٍ، والمحاصصة علىٰ أساس انتخابات؛ بغضِّ النَّظر عن شرعيتها وديمقراطيتها. ولٰكنَّ أمراء

الطَّوائف في لبنان هم الذين يقرِّرون كلَّ شيءٍ مهما كانوا خونةً أو عملاء أو أغبياء... بيدهم القرار، وملزمون بالجلوس مع بعض بعد كلِّ جولة خيانةٍ أو خرابٍ... وكأنَّ شيئاً لم يكن!!!!

الأمر ليس بهٰذه السُّهولة التي تبدو عليها أبداً. الأمر أخطر بكثير مما تتخيلون، إنَّهُ خطيرٌ علىٰ الجميع وليس علىٰ طرفٍ واحدٍ من الأطراف أبداً. حَتَّىٰ الدروز الذين سيفرحون بهٰذا القرار سيكونون مخطئين. وأيُّ طائفةٍ تقبل بهٰذا القرار ستكون شريكاً في الفوضىٰ والاحتراب الذي يدمِّر سوريا أكثر مما هي مدمرة.

للتوضيح أقول: الطَّوائف لها مراجعيَّاتها التي تأتمر بأمرها، ولا أحد يجهل ذٰلكَ، ولم يعترض عليه أحدٌ. ولٰكن أن تكون المرجعيَّة شخصيَّة اعتباريَّةً في الدَّولة فهٰذا ما لا يُقبل، ولا يَجُرُّ إلا إلىٰ الويلات. لأنَّ هٰذه المرجعيَّات ستكون أركان الدَّولة، وهٰذا ما لا يَتَّسِقُ مع أيِّ إمكانيةٍ لقيام دولةٍ قادرةٍ علىٰ التَّقدُّم خطوةً إلىٰ الأمام. لن يقبل ذٰلكَ أو يفرح به إلا الأغبياء أو الذين يريدون تدمير الوطن دماراً لا قومة منه أبداً.

إنَّ النِّظام السُّوريَّ بهٰذا القرار إلىٰ جانب كونه يرتكب أشنع جريمةٍ بحقِّ المجتمع والوطن والأمَّة فإنَّهُ ينفذ أجندات أعداء الوطن والأمة في شرذمته وتفتيتها وتقسيمها علىٰ أساس طائفي وعرقيٍّ. بعدما كانت الأمَّة أمَّةً قسمها الاستعمار الغربي إلىٰ أقاليم وأقطار، ومضى في العقود الأخيرة إلىٰ مزيد من التفتيت والتقسيم من الدولة القطرية إلىٰ القبيلة والطائفة... وها هو النظام السُّوري يقدم نفسه خادماً أميناً لتنفيذ هٰذا المشروع. تعجز الأنظمة الغربية عن فعل ذٰلكَ من دون وسيط محليٍّ. وها

هو النِّظام السُّوري يكمل هٰذه المسيرة. كل ذٰلكَ من أجل أن يسانده الغرب في القضاء علىٰ ثورة شعبه عليه!!! كل ذٰلكَ من أن يبقى علىٰ الكرسي علىٰ الرَّغْمِ من إرادة الشَّعب!!!

لم تمض أيام حَتَّىٰ فاجأتنا التايمز البريطانية بتقرير لا ندري إن كان تحليليًّا أم تسريبياً نشرته صحيفة في عدد الأحد ٢٠١٤/٢/٢م تقول: «إنَّ احتمال إعادة رسم خريطة الشَّرق الأوسط التي كانت حدّدت باتفاقية سايكس بيكو قبل نحو مائة عام هو الاحتمال المرجح لحلِّ الأزمة السُّوريَّة...».

وهنا يبرز التَّساؤل العريض: هل كان ما فعله النظام السُّوري تنسيقاً، أم تسبيقاً، أو هدية وتسويقاً لهٰذا المشروع. لا يمكن فصل الأمرين عن بعضهما أبداً. ولا يمكن تجاهل ما يحدث في مصر من تحذيرات يطلقها السيسي وإعلامه من أنَّ الأخوان المسلمين يسعون لتقسيم مصر، مثلما حذَّر الأسد من أن المؤامرة (أي الثَّورة) تريد تقسيم سوريا، علماً أنَّهُ حَتَّىٰ الآن وإلىٰ يوم يبعثون لا يوجد ثائر سوري يريد أو يقبل أو يسمح بتقسيم سوريا، لنكتشف أنَّ الأسد هو ذاته الذي يقسم سوريا وليس الثورة. وهو وإن لم يصرح بذٰلكَ مباشرة فإن سلوكه يقود حتماً إلىٰ هٰذا الطريق.

علىٰ أيِّ حال، قال تقرير التايمز المشار إليه قبل قليل: «إنَّ الصِّراع الدَّائر في سوريا منذ أكثر من ثلاثة أعوام لن ينتهي إلا بإعادة رسم خريطة منطقة الشَّرق الأوسط، التي حدَّدت في إطار ما يعرف باتفاق (سايكس بيكو) قبل حوالى ١٠٠ عام». وقد بدأ التفتيت فعلاً في السودان وقبلها العراق ثمَّ اليمن

الآن، وها هم في طريقهم إلىٰ سوريا وسيعودون إلىٰ العراق وحَتَّىٰ السعودية والإمارات واليمن...

من المسؤول عن ذَلكَ؟

كل من يتَّهم الغرب ويسكت فهو تافه. الغرب ذَلكَ ولا يمكننا إنكار ذَلكَ في حقيقة الأمر أبداً، يريد ولٰكنَّ الأنظمة العربيَّة هي المسؤول الأول والأخير عن التَّنفيذ... ومعهم الخونة واللصوص الذي يساهمون بذَلكَ ترويجاً أو تأسيساً أو تسويغاً أو مساعدة بأي طريقة من الطرق.

يتابع أنطوني لويد الصحافي والمحلل السياسي قائلاً: «رُبَّما لا يرغب أحدٌ في الإقرار صراحة بأنَّ تقسيم سوريا، وفق أسس طائفيَّة وفيدراليَّة، قد يكون حلاً محتملاً ينهي الأزمة المستمرة». هو يقرُّ بأنَّهُ لا أحد يرغب في ذَلكَ. ولٰكنَّهُ في الوقت ذاته يتابع بدهاء الإنجليز: «إنَّ الكثيرين يعربون سرًّا عن شكوكٍ كبيرةٍ في مدى استمرارية الخريطة، التي حُددت معالمها، قبل قرن من الزمان».

وهٰذا صحيحٌ تماماً فالشكوك كبيرةٌ في خريطة سايكس بيكو، والربيع العربي كان يضمر في باطنه الكثير من احتمالات إعادة رسم خريطة سايكس بيكو. ولٰكنَّ الذي حدث أنَّ الأنظمة العربيَّة والسِّياسة الغربيَّة انتبهت إلى هٰذه الخطورة وأرادت أن تحول الشكوك في استمرار خريطة سايكس بيكو إلىٰ شكوكٍ حقيقيَّةٍ ولٰكن بعكس الاتجاه الذي سارت أو يجب ان تسير فيه.

فالسَّلاطين العرب لا مانع لديهم من مزيد التقسيم والتفتيت مقابل الاستمرار في مناصبهم. وهٰذا ما يفسر لنا تآمر الأنظمة العربيَّة علىٰ الثَّورة السُّوريَّة وعلى الرَّبيع العربيِّ بمجمله. وعلى هٰذا الأساس ينتهي لويد إلىٰ ضرورة «الوصول إلىٰ حلٍّ يعالج المشكلة الإقليميَّة، بدلاً من أن يركِّز فقط علىٰ سوريا سيستغرق عقوداً يسقط خلالها آلاف من القتلى الآخرين»، أي مساهمة سلاطين المنطقة في تكريس الفدراليات علىٰ أساسٍ طائفيٍّ وعرقيٍّ قبل أن يصبح القرار بأيدي الشُّعوب وتضيع فرصة السَّيطرة علىٰ المنطقة بضمانات الأنظمة ورعايتها فترةً من الزَّمن حَتَّىٰ يأخذ أبعادها واستقرارها الفيدرالي الذي سيتحول بطبيعة الحال إلىٰ دولٍ مستقلَّةٍ.

لن أقطع بعدم نجاح الفيدراليَّة في هٰذه الدَّولة أو تلك. سأفترض أنَّها ستنجح. ولٰكن هل يمكن أن تنجح في سوريا بعد كل هٰذا القتل والخراب والدَّمار والتَّشريد؟

لا أظن ذٰلكَ أبداً. ولا أظنُّ أنَّهُ يمكن أن تنجح الفيدراليَّة في أيِّ دولةٍ عربيَّة. أي فيدرالية ستنقسم إلىٰ دول. وهٰذا ما لا يعترض عليه الغرب إطلاقاً. وحَتَّىٰ يُمَرَّرَ هٰذا المشروع تتم الممطالة في حلِّ ما يسمَّى الأزمة السُّوريَّة من أجل تهيئة الأجواء المناسبة لإعادة رسم خريطة المنطقة العربيَّة من جديدٍ. مشروع الشَّرق الأوسط الكبير لم يمت في العقليَّة السِّياسيَّة الغربيَّة والأمريكيَّة خاصَّة. وأمريكا تطهوه علىٰ نارٍ هادئةٍ، والعرب مثل المهابيل يسيرون في الطَّريق المرسوم بكلِّ طاعةٍ بل بطاعةٍ غير مسبوقةٍ، فهم يحاربون من يحارب شَرذمة المنطقة أكثر.

أدركت أمريكا مخاطر التقسيم منذ فترة في حقيقة الأمر. ولٰكنَّهَا لم تتخل عن المشروع لأنه لا بديل عنه بالنسبة لها، ولذٰلك منذ أدركت ما سينجم عنه

من مخاطر وهي تحاول تأمين الأجواء والبيئة المناسبة لتنفيذه من دون الوصول إلىٰ المخاطر التي يتوقع حدوثها في هٰذه المرحلة.

إن ما تريد أمريكا والغرب تحاشيه بتفتيت المنطقة هو ما سيحدث بالتفتيت، إنَّ ما تحذره أمريكا والغرب من عدم التفتيت هو ما سيلسعها إذا حدث التفتيت. ستُعاد كتابة تاريخ المنطقة علىٰ ضوء ما يجري في أرض الشام وسيكون أخطر مما توقعوه وخططوا له وتوهموه...

إنَّهُم يسعون بكلِّ ما استطاعوا لاستيعاب هٰذا المارد وسحقه، ولذٰلك يماطلون في الحلول ويحاصرون الثَّورة، ولم يدروا أنَّهُم كلما حاصروا الثَّورة أكثر انفجرت في وجوههم براكين جديدة لم تكن في الحسبان. وفي هٰذا السِّياق المجتمع الدولي ومعه الأنظمة العربيَّة لا يريدون القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة بقدر ما يريدون أن تظلَّ المنطقة مشتعلةً بالاقتتال الذي لا ينتهي...

نحن ندرك مصالح الغرب وغاياته وأهدافه، ولذٰلك لا يجوز أن ننتظر منهم أن يكونوا لنا سنداً في شيء، وكلُّ من ينتظر أي مساندة من الغرب فهو غبيٌّ ورُبَّما خائن.

سنعود لاحقاً إلىٰ رهان الأسد علىٰ التَّقسيم.

العصر الحجري
سوريا

الفصل الخامس عشر

الأسد لا حل إلا الحسم العسكري

لا أريد أن أعيد ما كتبت فيه مراراً عن الحلِّ السِّياسي والحسم العسكري[١٦] ولٰكن لا بُدَّ من التَّذكير بمسألة أساسيَّة جدًّا وهي أنَّهُ لو كان يؤمن الأسد بأي إمكانيَّةٍ للحلِّ السِّياسي لوجب أن تختلف سياسته العسكريَّة خاصَّة وتصريحات وتصريحا المسؤولين السوريين اختلافاً

(١٦) .كتب لهذا المقال في ٢١/٦/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

جذريًّا عما هي عليه. وهٰذه النقطة وحدها كافية لاستقراء موقف الأسد من الحلِّ السِّياسي.

الطريف اليوم أمران متلازمان. أولهما انقلاب ديمستورا علىٰ مواقفه وثانيهما انقلاب الأسد علىٰ مواقفه. وكأنَّهُما يمثلان دوري زينچو ورينچو إذا وافق واحد اعترض الثاني وإذا اعترض واحد وافق الثاني.

في الجولات السَّابقة كان دي ميستورا مع الحلِّ السِّياسي وبقاء الأسد وشرع في أوَّل إطلالاته علىٰ مشروع تجميد القتال وإعادة تأهيل النِّظام وهلم جرًّا في مسلسل الحلِّ الذي كان يمشي به.

في هٰذه الأثناء كان موقف الأسد مع مشروع دي ميستورا وبقوَّة إذا جاز التَّعبير. لقد أعلن مراراً وقوفه مع هٰذا الحل وسعيه له وإن كانت سياسته علىٰ الأرض لا توحي بذٰلكَ كما أشرنا في حينه.

قبل نحو أسبوعين انفجر دي ميستورا وانقلب علىٰ مشروعه كله وطالب بحدة بضربة عسكرية لإقصاء الأسد، وبممارسة ضغوط شديدة لجعل الأسد يتنحى، وذهب إلىٰ سوريا بقلب قوي يطالب بشار الأسد بوقف قصف المدنيين بالبراميل... وقف قصف المدنيين بالبراميل، يعني قصفهم بغير البراميل أمر جائز ولا اعتراض عليه، كما يوحي بأن استخدام البراميل في أماكن لا يتوقع وجود مدنيين فيها أيضاً أمر مقبول ورُبَّما مرحب به.

حمل دي ميستورا هٰذا المطلب في سلته ومضى إلىٰ سوريا ليلتقي مسؤولين سوريين ليس الأسد بينهم، ولا يوجد مسؤول في سوريا مسؤول عن كلمه أو قادر علىٰ التعهد بشيء، ولذٰلك أدرج الأسد لقاء مع دي ميستورا ليعطيه زبدة الكلام.

كان اللقاء أمس في ٢٠١٥/٦/٢٠م، وكالعادة أعطى الأسد دي ميستورا محاضرة في الأخلاق والسياسة والتفاوض والاستراتيجيا، وحدد له المفاهيم والاصطلاحات حَتَّىٰ لا يحدث أي لبس أو خلل في الفهم. ولهٰذه المعلومات نقلاً وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) نقلاً عن مصدرٍ سياسيٍّ في نظام الأسد رفض الإفصاح عن هويته.

أوضح الأسد حسب المصدر أنَّ الأسد أقنع دي ميستورا بأنه لا يستخدم البراميل، لا يوجد شيء اسمه براميل، هٰذه التي يسميها العالم براميل هي قذائف تستخدمها كلُّ جيوش العالم. وهو محق في ذٰلكَ هي في المحصلة قذائف فعالة ورخيصة، تفعل فعل صاروخ أرض أرض وأرخص منه بآلاف المرات، وأسهل في التصنيع من الصارخ بآلاف المرات، وهٰذه براعة تحسب للجيش السوري الباسل.

وافق دي ميستورا فيما يبدو من جهة المبدأ علىٰ التوصيف العسكري للبراميل فاحتج بأنه تستهدف المدنيين. اعترض بشار الأسد ونفى أنَّهُ يستهدف المدنيين. ورُبَّما أعاد علىٰ مسامعه قوله في بدايات الثورة بأن القائد الذي يقتل شعبه مجنون. ولٰكنَّهُ مع ذٰلكَ وعد بأن يعطي توجيهاته بالتقليل من استخدامها لتقليل الخسائر بَيْنَ المدنيين.

هنا قدَّم دي ميستورا للأسد تقريراً موجزاً عن لقاءاته بأقطاب المعارضة السورية في جنيف. فقال له الأسد: «معظم هٰذه المعارضة لا قيمة لها علىٰ الأرض. ومعظم هٰذه المعارضة مرتبط بالخارج أكثر من ارتباطها بالداخل». وهٰذه كلمة حق أريد بها باطل بدليل ما سيأتي. صحيح أنَّ هٰذه المعارضة لا قيمة لها ولا قدرة علىٰ الأرض السورية، وصحيح أنَّ كثيراً منهم مرتبط بأجندات

الرواتب التي تعطى لهم... ولٰكنَّ الحل ليس معهم ولا من أجلهم ويوجد غيرهم أكثر منهم من الشرفاء والأحرار والمخلصين والذين لم يبيعوا ضميرهم ولا وطنهم.

يبدو أن دي ميستورا تعلم النقاش مع الأسد فحاول تحقيق مكسب في فك الحصار عن المدن المحاصرة، والتنقير علىٰ الحل السياسي بغض النظر عن المعارضة العفنة، مستفيداً من مواقفة التي أعلنها عن طرح خطة تجميد القتال. ولٰكنَّ بشار الأسد انقلب علىٰ موقفه بتشجيع الحل السياسي وتجميد القتال وطرق دي ميستورا الكلام في العظم، علىٰ اعتباره طبيب عيون ولا يجيد ضرب الإبر بالعضل، وقال له من الآخر: «لا حل سياسي قبل الحسم العسكري». «سنحسم الأمر عسكريًّا ثمَّ نفكر في الحل السياسي».

لأنَّ دي ميستورا أصلع فقد وقفت خصلة الشعر الوحيدة المتبقية في رأسه دفعة واحدة، وأبدى استغرابه فقال له بشار الأسد: «واجب الدولة هو القضاء علىٰ الإرهاب». ولذٰلك فإنَّ الأولوية هي للقضاء علىٰ الإرهاب وليس الحل السياسي.

احترنا يا أقرع من أين نمسكك: إذا كان ما يحدث في سوريا هو إرهاب فلماذا الحل السياسي؟ ومن ثَمَّ فأي حلٍّ سياسيٍّ هٰذا الذي سيكون بعد الحسم العسكري، بعد القضاء علىٰ الإرهاب؟ وهل إذا انتصر النظام سيتنازل عن السلطة مثلاً، وعلىٰ أي أساس سيعيد ترتيب الأمور إذا كان يحارب الإرهاب وانتصر علىٰ الإرهاب؟

يبدو لي أن دي ميستورا كان يضع في ذهنه أنَّ هٰذه هي محاولته الأخيرة، هٰذا ما يبدو لي من سياق اللقاء. ولذٰلك حاول إلقاء الضوء علىٰ كل الزوايا،

علىٰ نحوٍ شخصي له هو علىٰ الأقل. ولذلك طرح ورقته الأخيرة، وهي فيما يفترض أفضل الحلول التي يمكن يقدمها بشار الأسد، وهي الانتخابات المبكرة برعاية دولية.

رفض بشار الأسد علىٰ الفور هٰذا الطرح، وقال بأنَّ الأوضاع في سوريا لا تسمح بإجراء انتخابات. وتحسباً علىٰ الإشراف الدولي أضاف الأسد: «حَتَّىٰ لو كانت بإشراف دولي»، وأضاف إضافته التاريخيَّة التي حيرت عقول المتابعين قائلاً: «إنَّ الوضع القائم دستوري أيده الشعب!!!».

ما الذي تغير في سوريا عما كانت عليه قبل نحو السَّنة عندما جرت انتخابات كوميدية نجح فيها، وهي التي يعتبرها وضعاً دستوريا سليماً أيده الشَّعب؟ كانت الأمور أصعب وأعقد من الآن بكثير جدًّا، ولم يكن حال المشردين أحسن ولا أسوأ، فلماذا كانت تلك الانتخابات شرعية ودستورية وممكنة وليست ممكنةً الآن؟!

بشار الأسد لا يطلق النار علىٰ الحل السياسي فقط بل يطلق النار علىٰ الحلول كلها ما عدا الحل العسكري. والغريب هنا أنَّهُ يصر علىٰ استمرار الحل العسكري في حين أنَّهُ لم يعد لديه أبداً ما يدافع به أو يدافع عنه... إلا محاولات اليائس الذي لا بديل له عن الموت.

إلىٰ ماذا يستند بشار الأسد؟

من الذي يطمئنة؟

لا يوجد بني آدم في الدنيا في موقع إلا ولا بديل له ولا أمامه سوى الاستسلام أو الهروب، فلماذا يصرُّ بشار الأسد علىٰ المضي في

الحلِّ العسكري الذي لن يكون له فيه أيُّ نصيبٍ من النَّجاح وليس النَّصر، والذي يبدو مؤكِّداً تشكيلات الثَّورة المسلَّحة قادرة علىٰ اقتلاع النِّظام برمَّته خلال أسبوع في أيِّ وقتٍ قرَّرت ذلكَ. في أي وقت تهب تشكيلات الثورة المسلحة هبة واحدة لن يبقى من النظام إلا ذكريات وتاريخ مضى. ولا يعيقها عن ذلكَ فيما يبدو إلا تدخلات قوى إقليميَّة ودوليَّة لأغراضٍ ترها هي وتقدِّرها هي ليس من الضروري أن تكون صحيحةً حَتَّىٰ بالنسبة لمصالحها هي كما تحسب وتتوهم.

الفصل السادس عشر

الحلول التحشيشية للثورة السورية

في عودة خاطفة إلىٰ بدايات التَّنطع العربي والدَّولي لحلِّ ما صار يسمَّى الأزمة السُّورية التي كانت في الأشهر الأخيرة من عام ٢٠١١م[١٧]. في تلك الفترة عندما رأيت الحلول المقترحة كتبت: كل الحلو هبل علىٰ خبل. وكتبت إن الحلول التي المقترحة تدل إما علىٰ أن هناك تحشيش سياسي أو أنَّ الدول التي تقدم هٰذه الاقتراحات لا تريد للحل أن يكون. وكتبت كذٰلكَ عن الحلول التي يقترحها من يسمون أنفسهم زوراً أصدقاء الشعب السوري: إذا كان اصدقاء

(١٧) .كتب هٰذا المقال في ٢٢/٦/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الشعب السوري يقترحون هٰذه الحلول فماذا يمكن أن تكون الحلول التي سيقترحها أعداء الشعب السوري...

هٰذه عناوين تعليقات أو مقالات خاطفة للحلول التي كانت تقترح من المجتمع الدولي والإقليمي والجامعة العربية وروسيا وإيران والشهشان وغيرها من البلدان لوضع حد لما سموه الصراع السوري، الأزمة السورية... بعد مؤامرة دنيئة خبيثة ماكرة منذ بدايات الثورة لتغييب الثورة وتظهير الصراع وتصوير الثورة علىٰ أنَّها صراع بَيْنَ معارضة ودولة.

لننتبه جيداً إن محض التعامل مع الثَّورة السُّورية علىٰ هٰذه الأساس أو علىٰ هٰذه التوصيفيات الخاطئة يقتضي أن أيَّ حل سيقترح سيكون خلبيًّا وخادعاً أو مخدوعاً أو ضالاً أو مضللاً ولا يمكن أن يكون حلاً سليماً علىٰ الإطلاق. إنَّهُ بناء علىٰ وهم، وما يبنى علىٰ وهم لا يمكن أن يثبت. كمن يزرع الشوك وينتظر أن يحصد العنباً... بل كمن يزرع الحجارة ويريد أن تنبت أشجاراً!!!

من الطبيعي أن من يرى أن ما يحدث في سوريا هو صراع بَيْنَ أحزاب علىٰ السلطة أن تكون اقتراحاته للحل سريالية بالنسبة لحقيقة الوضع. هٰذا علىٰ افتراض أنَّ الرؤية مشوهة غباءً أو بلاهة وليست مقصودة تفاهة وقذارة.

دليل أنَّها تقصد التعامي عن الحقيقة وتعمد اقتراح الحلول السريالية أنَّ هٰذه الحلول المقترحة منذ بداية الثورة لم تقترب أبداً ولا بحال من الأحوال من لمس الجرح، ولا من حل يمكن أن يلقى أدنى قبول، أو يحمل في طياته إمكانية الصمود أو حل الأزمة كما يسمونها. منذ البدايات وحَتَّىٰ الآن والمقترحات بكلِّ تغيراتها ما زالت تدور في فلك الغباء والهبل والخبل والاستعباط... تتعامل مع الشَّعب السُّوري وكأنه كومة حجارة: لا إحساس ولا روح ولا دم ولا ألم ولا

قلب ولا عقل... وتسوق هبلها عليهم بطريقة استغبائية مستفزة إلىٰ أبعد الحدود.

لا أريد العودة إلىٰ هٰذه المقترحات الكثيرة علىٰ مدار السنوات الأربع الماضية، وهي علىٰ أيِّ حالٍ يعاد إنتاجها بطرائق مختلفة بَيْنَ الحين والحين. ألقي الضوء علىٰ مشهدين بارزين قديمين وأعود إلىٰ المقترحات الحالية.

ظل وسائل الإعلام العربية والعالمية والفيسبوكية تروج وتسوق لاقتراح تسليم فراس طلاس السلطة بدلاً من بشار الأسد أو يكون نائبة أو ما شابه ذَلكَ... ثلاث سنوات وهم يروجون لهٰذا الاقتراح وكأنه هو الحلم السوري!!!

المشهد الآخر هو الترويج لماهر الأسد علىٰ أن يكون البديل لبشار الأسد علىٰ اعتبار كما يروجون يداه غير ملطختين، وهو علوي يحقق التوازن وما أدراك من مغريات في مواصفاته الفنية والتعبوية الأُخْرَىٰ... علىٰ أساس أن هٰذا الحل سينهي الصراع في سوريا ويكون ما هر الأسد هو المنقذ!!!

اليوم الاثنين ٢٢ حزيران/ يونيو ٢٠١٥م نشرت صحيفة لوريون لوجور الفرنسية تقريراً يؤكِّد حقيقة لا تحتاج إلىٰ تأكيد وهي أنَّ أيام نظام بشار الأسد باتت معدودة ومنعدمة. أشارت الصحيفة إلىٰ حالة اليأس التي بدأت تستولي علىٰ أنصار الأسد ورجال نظامه. ولٰكنَّهَا لم تشر إلىٰ أن أمريكا وإسرائيل والغرب هو الذي يقف سداً منيعاً أمام سقوط الأسد، وفي المقابل أبدت نوعاً ما من وراء السطور المخاوف من تخلي إيران وروسيا عن بشار الأسد، بسبب الأضرار الكبيرة المادية والمعنويَّة التي لحق بنظامه، ولٰكنَّهَا لم تشر إلىٰ أنَّ التورط الإيراني والروسي في دعم الأسد كان طعماً إسرائيليًّا أمريكيًّا فكانت خسائرهما مثل خسائر نظام الأسد وأكثر.

علىٰ أي حال، كل المعالجة كانت انطلاقاً من الفهم المغلوط المقصود الذي صنع وفبرك حول الثورة السورية. وتنتهي الصحيفة إلىٰ الحقيقة الأكيدة وهي، بمعنى من المعاني، أنَّ الأسد ينظر الآن إلىٰ أنَّ مصيره يقترب من مصير القذافي ، ووهو يعيش أيامه الأخيرة... لم تشر أيضاً إلىٰ أنَّهُ يريد الرحيل والهروب حَتَّىٰ لا يلقى مصير القذافي ولٰكنَّ أمريكا هي التي تغريه وتفرض عليه البقاء، وتطمعه بإمكانية الانتصار علىٰ الثورة...

لم تشر الصحيفة إلىٰ حقيقة أن هٰذا الضغط الأمريكي علىٰ الأسد كي يصمد هو بحثاً عن البديل عن نظام الأسد. أشارت صحيفة لوريون لوجور إلىٰ أنَّ «الولايات المتحدة لن تقبل بأن يترك مجال الوصول إلىٰ السلطة مفتوحا أمام جبهة النصرة، أو تنظيم الدولة». وهٰذه هي بؤرة الغباء الأمريكي والعربي بالتحديد. هي توقعت منذ البداية وصول الإسلاميين فحاربت الثورة كي لا يصلوا إلىٰ السلطة فجعلت الإسلاميين الطرف الأقوى في معادلة الصراع. والوجه الثاني للغباء الأمريكي هي إيمانها الوثوقي الغبي بأنها ستفرض من تريد علىٰ سوريا أو تمنع من لا تريد عن سوريا. ولذٰلك هي تمطمط الصراع علىٰ أمل الوصول إلىٰ هٰذا الشخص البديل.

لا يوجد بديل. ولا يمكن لأمريكا أن تفرض من تريد. تستطيع أمريكا من خلال عملائها المطمطة والإطالة وتغيير قواعد اللعب والصراع... ولٰكنَّ الأمر لن يستمر كذٰلكَ أبداً. ولذٰلك أمريكا عن طريق روسيا أو عن طريق عملائها العرب أو الفيسبوكيين تلقي بالونات الاختبار بَيْنَ الحين والحين. وتقترح الحلول الغبية المعتادة التي توحي بأنها تعيش في المريخ ولا تدري ما يدور في الأرض.

علىٰ هٰذا الأساس رمت الصحيفة المشروع الأمريكي في المطمطة هٰذا. قالت «إنَّ عامل الوقت هو وحده الكفيل بأن يجمع بَيْنَ العوامل المؤدية إلىٰ حتمية استبدال بشار الأسد علىٰ اعتبار أنَّ حصول إيران وروسيا علىٰ حد أدنى من الضمانات بشأن من سيخلفه؛ كفيل بدفعهما للتخلي عن حليفهما الإستراتيجي».

حسناً، لنتفق علىٰ أنَّ هٰذا المشروع جيِّد في صورته العامة التي تبدو عليها. ولٰكن ما البديل؟ ومن البديل؟

تخيلوا أنَّ أعداء سوريا التاريخيين وأبرز أعداء الثَّورة السُّورية يريدون نظام حكم يضمن لهم مصالحهم ومطالبهم!!!

أريد أن أضحك ولٰكنَّ الضحك يضنيني في ظل هٰذه المعطيات السريالية الهستيرية. فهٰذا وحده كفيل بمحاربة الثورة وعدم السماح لها بالانتصار لأنه لا يمكن أن يكون نظام في سوريا يضمن هٰذه التناقضات التي لا تجتمع في سلة واحدة.

هنا يبرز الاقتراح الروسي الإيراني الذي تشجعه أمريكا والغرب وإسرائيل والدول العربية الماجنة والمتمثل بالحفاظ على المؤسسات القديمة ذاتها في سوريا. هكذا تكون العقدة قد انحلت والمعضلة قد فك تعضيلها. ولٰكنَّ هٰذا حسبهم جميعاً «يتطلب (حتماً) استبدال بشار الأسد بجنرال علوي، أو بشخصية سنية بعثيَّة».

هٰؤلاء المساطيل يخافون من أمر واحدٍ أن يعيق هٰذا الحل وهو الاعتراض السعودي والتركي. يعني كل دول الجن والإنس موافقة والسعودية هي التي ستعترض!!!

أمَّا الشَّعب السُّوري والثوار والثورة السورية فلا قيمة لموافقتهم. لا أعرف من أين أتوا بهٰذه الوثوقية الغبية!!! صحيح أنهم باتوا يتحكمون بأكثر قيادات الجيش الحر، ويحسبون أنهم من خلال هٰذا التحكم قادرون علىٰ فرض ما يريدون علىٰ الثورة. نقطة الغباء ذاتها التي انطلقوا منها تغييب الثورة والنظر فقط إلىٰ أطراف يرونها هم ولا يرون غيرها.

لا أريد العودة إلىٰ أنَّهُ لم يبق مؤسسات دولة كي تتم المحافظة عليها إلا المؤسسة الأمنية التي بسببها ثار الشعب ولا يرد تحطيم غيرها. ولٰكن لا يمكن إلا أن أتساءل: هل هٰذه هي المؤسسة التي تريدون المحافظة عليها؟

وهل فعلاً أنتم مقتنعون بأن استبدال بشار الأسد بجنرال علوي هو الذي سيحل المشكلة وتنتهي الأمور ويا دار ما دخلك شر؟

هل الأمور فعلاً بهٰذه السطحية والبساطة والسهولة؟

ثَمَّة حل طرح مرات قبل الانتخابات الرئاسية ويعاد طرحه الآن وهو بقاء الأسد إلىٰ نهاية فترته الرئاسية أي ست سنوات أُخْرَىٰ، وبعدها تحدث انتخابات رئاسية وقد يكون الأسد أحد المرشحين. وكما يقول الأسد وأنصار الأسد وإعلام الأسد لا مساس بقدسية الرئيس ومؤسسات الأمن والجيش... ولٰكن يمكن أن يفوض المعارضة أو المواطنين أنفسهم أو حَتَّىٰ الشياطين الزرق بوزارات الإعمار والتموين والصحة والمشردين والري والزراعة والطرق والمواصلات وهيك شغلات... وسلامات ومامات.

الفصل السابع عشر

إذا لم يرحل بشار فالمنطقة ستشتعل

يتحفنا أنصار الأسد في الفترة الأخيرة[١٨]، بعد دمار سوريا وتدخل القاصي والداني في الشأن السُّوري، بتعليقات طريفة من قبيل: لولا الثَّورة لكانت سوريا بخير، الثَّورة جلبت الخراب والدمار لسوريا... لم يكتفي النِّظام والموالون له بدمار سوريا وتشريد شعبها بل راحوا يحملون

(١٨) .كتب هذا المقال في ٩/٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الثَّورة ما جرى لسوريا من دمار وخراب وقتل وتشريد وتدخل كل القوى في سوريا.

سأتفق معهم من جهة الشكل الأولي في أنَّهُ كانت سوريا بخير، وأنَّها ما كان يجب أن تقوم فيها ثورة. ولٰكنَّ الحقيقة التي يجب أن لا نتجاوزها هي أنَّهُ صحيح تسليماً أنَّهُ لم يكن من الضَّروري أن تقوم ثورةٌ في سوريا، إلا أنَّ تعامل النِّظام مع الثَّورة وانكشافه بما انكشف به أثبت أنَّ الثَّورة كان يجب أن تقوم، ويجب أن تستمر مهما كلف ذٰلكَ السُّوريين من ثمن. ولذٰلك أصلاً استمرَّت الثَّورة علىٰ رغم القمع الذي لا نظير له ولا مثيل في التاريخ عنفاً ودموية وحقداً وبشاعةً وشناعةً.

من الغباء الظنُّ أنَّ النِّظام لا يدرك هٰذه الحقيقة. ومن الغباء القول إنَّ الذين يقفون مع النِّظام لا يدركون هٰذه الحقيقة. الذين يقفون مع المستبدين ليسوا مخدوعين، ومخدوع من يظنُّ أنَّهُم مخدوعين. هم شركاء في الاستبداد يحققون مكاسب غير شرعيَّة منه لا يستطيعون حماية عدم شرعيتهم إلا بالمستبد. وأيُّ احتمال آخر لن يخرج عن طوق المرض النفسي كالمازوخيَّة أو الصَّغار أو الاستمتاع بالاستحمار.

لنبدأ بالمنطق الواقعي والتاريخي والعقلي.

في كل البلاد التي فيها عقل فيه منطق سليم فالمنطقي أن يفوز الرئيس بحدود ٦٠% من أصوات الناخبين لا تزيد أكثر وقد تقل حَتَّىٰ ٥١%. مثل هٰذه النتيجة هي المثالية والمنطقيَّة والواقعيَّة أيضاً.

في بلاد العرب أوطاني يفوز الرئيس تزويراً بأكثر من ٩٠%، ويقول الموالون المبوِّقون: «ومن لم ينتخبه فهو من الحشاشين والمرتزقة والعملاء!!!!».

هنا لا بد من التأكيد أنَّ هؤلاء الرؤساء ومن يقف معهم هم الحشاشون فعلاً لا قولاً وهم المرتزقة والعملاء بالتَّأكيد لا بالاتهام... يكفي أنَّهُم يدوسون البداهات بلا خجل... وهل وجد حاكم عبر تاريخ البشر كله وقفت الناس كلها معه بهٰذه الطَّريقة الاستثنائيَّة الامتناعيَّة؟

أقول ذٰلكَ في هٰذا السِّياق لمن يتحدَّثون عن شرعيَّة بشار الأسد، وأنَّهُ انتخبه ثمانون أو تسعون بالمئة من الشَّعب، وقد تحدثنا عن الانتخابات في حينها بما تستحق. وأقول ذٰلكَ لأنصاره الذين يتهمون من لم ينتخبه بالتَّحشيش والخيانة.

فيما سبق وحده ما يكفي للقول بأنَّ بشار الأسد لم يعد يصلح رئيساً لسوريا، ولا يمكن أبداً أن تسير العربة السُّورية وبشار الأسد علىٰ رأس السُّلطة أو جزءاً منها بحال من الأحوال. وإذا لم يتنازل بشار الأسد عن السُّلطة بطريقة مقنعة فإنَّ سوريا ذاهبة إلى حربٍ طويلةٍ جدًّا أشد مأساوية مما سبق بما يصدق. وليس في هٰذا الكلام من مبالغة أبداً. بل أقول إن بقاء الأسد في السُّلطة أو في أي موقع منها سيجر المنطقة كلها لا سوريا فقط إلىٰ حريق يأكل الأخضر واليابس معاً ولن تستطيع قوة في الأرض إطفاؤه، وسيحترق الكثيرون جدًّا بهٰذه النار احتراقاً لا يحتمل أبداً.

وعلىٰ أيِّ حالٍ لا يمكن أن يبقى بشار في السُّلطة ولو تعلَّق بأهداب السَّماء ووقفت معه دول الأرض أكثر مما تفعل الآن.

لا أحد من المتابعين يجهل أن دول العالم قاطبة تقريبا تقف مع بشار الأسد حَتَّىٰ إنَّ قذارة بعض الدول في هٰذا الموقف جعلت إبليس

يعوذ بالله منهم. وهٰذه حقائق دامغة لا يمكن الطعن فيها، لا يراها إلا المبصرون.

العالم كله يعاقب كل من انشق عن الأسد

العالم كله يعاقب كل من وقف ضد الأسد

إذا كان قامة سياسية وعلميَّة مثل سامي الخيمي يتسول تأشيرة دخول من السفارات الغربيَّة ويمنعونها عنه فماذا سيكون حال الناس العاديين؟؟؟ ولا أعدُّ من الأمثلة والشواهد فهٰذه أكثر من أن تحصى.

المهم في الأمر ليس ما يبدو في ظاهرة، المهم في الأمر أنَّ هٰذا مبنيٌّ علىٰ سياسات ومخططات للحالة السُّوريَّة لا أحد يدري كنهها وحقيقتها إلا المستبصرون بما علموا. وكل الممارسات والحقائق الظاهرة والتسريبات تشير إلىٰ أنَّ ما يُرتَّبُ للسوريين يتأفف الشيطان منه.

صحيحٌ أنَّهُ لا يمكن أن يكون ذٰلكَ إلا بأذرع الخيانة والارتزاق ومن أعمتهم المصالح الشَّخصية الذين يتصدرون الثَّورة اليوم. إلا أنَّ هٰذه السِّياسات لن تني عن البحث عن البدائل والسبل الممكنة لتحقيق مآربها من هٰذه الفرصة التاريخية التي لن تتكرر أبداً.

ومع ذٰلكَ، أكرر ما نبت علىٰ اللسان من شعر من تكراره، لا تستطيع قوة في الأرض أن تقف أمام ثورة أرادت أن تنتصر، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع شعباً أن ينتصر... تستطيع أي دولة أن تمنع جيش دولة من احتلال دولة أُخْرَىٰ، من أن ينتصر، ولٰكن لا تستطيع قوَّة في الأرض أن تمنع شعباً من أن ينتصر.

هٰـذا ونـاهيكم عـن أنَّ الثَّـورة السُّـورية أصـلاً محسـومة مـن وقـت طويـل، ولٰكـنَّ العاهـات الـتي تتصـدر الثَّـورة هـي الـتي أخـرت النصـر وأطالـت عمر النِّظام.

بقاء بشار الأسد هو الذي فتح آفاق مختلف أنواع المخططات والمشاريع والتدخلات الشيطانية في سوريا والمنطقة. وإذا لم يرحل بشار الأسد بطريقة مقنعة فإن النيران ستأكل سوريا والمنطقة. ولا أرى أي مجال لأيِّ حلٍّ إلا برحيل بشار الأسد. بقاء بشار الأسد يعني استمرار الصراع إلىٰ أجل غير مسمى. واستمرار الصراع إلىٰ أجل غير مسمّى، وهٰذا ما ترغب فيه أمريكا وإسرائيل وبعض الأنظمة العربيَّة لسبب وبقية الأنظمة العربيَّة لسبب آخر، يعني تأجيج العنف وتصعيد المظلومية التي ستدفع بمئات آلاف الشباب لاحقاً للجهاد في سوريا وضد أنظمتهم ودولهم. وتصاعد الجملات الثأرية والانتقامية علىٰ الأنظمة سيفتح باباً لتصاعد الصراع في محيط سوريا الساخن بطبيعة الحال، والمؤهل للانفجار في أي لحظة مهما كانت الاحتياطات المتخدة، ومهما بلغت القبضة الأمنية من شدَّةٍ. بل إن تزايد القبضة الأمنية سيؤجج الوضع أكثر، وتخفيف القبضة الأمنية سيفتح باب سهولة رد الفعل أمام الجميع... بالع السكين علىٰ الحدين هو حال الدول الهربي وخاصَّة المشرقيَّة أمام هٰذا الوضع الذي يفتح آفاقه بقاء بشار الأسد في السُّلطة أو جزءاً منها.

المسألة ليست مسألة معارضة ولا موالاة، وليست وقوفاً مع بشار الأسد أو ضده، المسألة مسألة حريق يلتخم المنطقة رويداً رويداً حاليًّا، ولٰكنَّهُ كل لحظة يكبر وينمو ويزداد مثل كرة الثلج التي تقطع مسافة صغيرة صغيرة ثمَّ فجأة تخرج عن السيطرة وتعجز القدرات الجبارة عن السيطرة عليها.

هٰذه رسالة للجميع إمَّا أن تضعوا حدًّا لدوامة لا يدري أحد نهايتها ولا كيفيتها أو عليكم أن تتحملوا نتائج حماقاتكم. أخاطب السُّوريين ولا أخاطب غيرهم. لأني أثق في أنَّهُ لن يحرص علىٰ سوريا غير السُّوريين، وأثق في أنَّهُ لكل سلطة مصالحها ومصالح الجميع تتقاطع عند اللعب بالثَّورة السُّورية والنِّظام السُّوري إلىٰ أبعد أجل ممكن.

حَتَّىٰ الأمم المتحدة لا تثقوا فيها فيا أيها السادة العربان ما مشكلة عربية وضعت الأمم المتحدة فيها إلا وجعلتها مصيبة ما لها حل. هٰذا طبيعي لأن الأمم المتحدة هي مصالح النجوم الخمس وحلفائهم.

أيها السُّوري ايًّا كنت تقف، عندما يقول لك أيُّ طرف خارجي: يجب أن تفعل كذا أو لا ينبغي أن تفعل كذا، ألا تسأل نفسك بأيِّ صفةٍ يأمرك أو يطلب من ذَلكَ؟ ألا تسأل نفسك بأيِّ صفةٍ توافق وتنفذ؟!

إذا كنت لا تعرف من هم أعداء وطنك فلا يحق لك أن تكون منه.

الفصل الثامن عشر

أنصار النظام ووليمة العميان

منذ سنة تقريباً كتبت مقالاً بعنوان الثَّورة السُّوريَّة ووليمة العميان[١٩]، وقبلها بنحو سنة ونصف كتبت أيضاً أنَّ الثَّورة السُّورية صارت مثل حال وليمة العمليان. واليوم أعيد نسج القصة عن أنصار النِّظام ووليمة العميان، وهو من أول ما كتبته عن موقف النِّظام وأنصار النِّظام من الشعب السُّوري علىٰ العموم بسبب الثَّورة.

(١٩) .كتب هٰذا المقال في ٢٩/٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

وما وليمة العميان؟

أعيد القصة وهي قصة حقيقيَّة بتفاصيلها الآتية كاملة. يعرفها أهالي مدينة معضمية الشام لأنَّها وقعت فيها منذ نحو أربعين سنة أو أكثر.

تبدأ القصة مع رجل يحبُّ المزاح، (ويطحش) في مزحه أحياناً كما فعل في هٰذه القصة.

دعا هٰذا الرَّجل عميان القرية إلىٰ العشاء، (كانت المدينة قرية حينها) وكانوا نحو خمسة عميان حينها. وأعدَّ لهم من الطَّعام ما قدره الله عليه لم يبخل. وأكل العميان وهم يدعون له بالخير والرزق والبركة. وسقاهم الشَّاي بعد الطَّعام وَفْقَ الأصول.

ورفع الكاسات بعدما رفع أطباق الطعام. وأطفأ الضَّوء بإحساس المبصرين، ناسياً في غفلة أنَّ العميان تستوي عندهم الأنوار والظُّلم. ولكنَّ إحساسه الإبصاري بسوء طويته هو الذي قاده إلىٰ إطفاء النُّور.

وبعدما أطفأ النُّور صَفَعَ أحدهم كفًّا، والثَّاني رفسةً، ودفع الثَّالث علىٰ الرابع... وخرج يراقب من النافذة بسمعه.

مثلما يحدث في أفلام كرتون طبعاً، كلُّ واحدٍ وَجَبَ عليه الدِّفاع عن نفسه، أو رد الفعل المناسب، وبدأ الرفس والصَّفع علىٰ الفاضي وعلىٰ المليان، أينما ظن أنَّ حركة حوله رفس أو عضَّ أو ضرب، إذا سمع حركة من اليمين هاج ثوراً رفاساً عضاضاً علىٰ من في اليمين، وإذا سمع الحركة من الخلف استدار نحو الخلف وثار ثوراً هائجاً رفاساً عضاضاً... ولمن كان السَّبب ولمن لم يكن سبباً... ولم يكن أحدٌ منهم سبباً.

تخيلوا!!!!!!!!!!!!!!! المشهد الآن

غرفة فيها عميان، وبعضهم خرسان.

بعضهم بيده عصا، بعضهم بيده مخدَّة، بعضهم برجليه، بعضهم بيديه وحسب... ويجثو مثل كلب حراسة متوثب متأهب للهجوم إلىٰ أي جهة يسمع منها صوتاً... أي صوت، لا يهم، فقط صدور الصَّوت يكفي للانفلات والهجوم. وهو أصلاً لا يرى من يضرب. ولذلك هو مرَّة يصيب ومرَّات يخيب، ولا يستطيع التَّفاهم مع أحد، وهو أصلاً غير مستعدٍّ للتفاهم مع أحدٍ لأنَّهُ مبرمجٌ علىٰ رد الفعل علىٰ بالحركة، أي حركة توجب رد فعله.

هٰذه في الحقيقة حال النِّظام السُّوري وأنصاره منذ بداية الثَّورة: لم يقبلوا أي نقد، ولا أي اعتراض، ولا أي مناقشة، ولا أي شك، بل لم يقبلوا الحياد ذاته... الحياد ذاته كان مرفوضاً رفضاً قطعيًّا مثله مثل أي معارض مسلح حَتَّىٰ علىٰ مدار عام من عدم استخدام الثَّورة أي سلاح.

بل أضيف إلىٰ ذٰلكَ أنَّهُما معاً النِّظام وأنصاره مارسوا هواية البغل الشموسي: يعض من أمامه ويرفس من وراءه، لم يفكروا أبداً باسترضاء أحد، ولا باستمالة أحد، ولا بأدنى تنازل مهما كان سخيفاً. أرادوا من الجميع الخضوع والتصفيق من دون تفكير أو تدبير، وأن تفعل ذٰلكَ بإرادتك وتطوعك وعلىٰ رغم أنفك من دون مناقشة.

المشهد علىٰ حقيقته بهٰذا الوضوح، ولا يحتاج إلىٰ أيِّ شرحٍ أو تشبيهٍ أو تفسير. أغمض عينيك وتخيَّل المشهد. عندما تتخيَّل المشهد وتضحك حَتَّىٰ تدمع عيناك، وتنقلب علىٰ ظهرك... يمكن أن تكون قد أدركت جوهر الحقيقة.

الحقيقة أنَّ أنصار النِّظام ما زالوا يمارسون هٰذه الحماقة حَتَّىٰ الآن بدرجة امتياز وامتياز منقطع النظير. رُبَّما أقلع النِّظام وهيكله الأمني عن هٰذه العادة أو الممارسة منذ فترة، أو خفف منها كثيراً... رُبَّما ولست متأكداً. ولٰكنَّ أنصار النِّظام لم تنطفئ جذوتهم في الهياج والاهتياج علىٰ كل من يقترب من النِّظام أي نوع من الاقتراب أو يزل لسانه في غلطة، في غلطة وليس في نقد، غلطة مقصودة أو غير مقصودة من نصير للنظام كافية لإشعال النيران تحته وعلىٰ الفور: عميل، خائن، وهابي، باع ضميره، باع وطنه، باع شرفه، بلا شرف، خائن، غدار، ناكر للجميل... ليست هٰذه وحسب، وليست واحدة منها، بل كلها وأكثر من ذٰلكَ بكثير.

كلنا يذكر منذ فترة عندما زلت قناة الميادين؛ قناة النِّظام، التي يمولها النِّظام، ويشرف عليها النام، وخدمت النِّظام منذ أول الثَّورة خدمات لا تعد ولا تحصى، وشوهت الثَّورة اكثر من أي قناة، ولم يوجه أي إصبع نقد خفيف للنظام... كيف انصبت عليها حمم الإساءة والتشويه والطعن والسب والشتائم لغلطة غلطتها بأن تكلمت كلاما موضوعيًّا في انسحاب الجيش من منطقة!!!

إذا كان أنصار النِّظام بهٰذه العلقيَّة مع قناة الميادين وما أدراكم ما قناة الميادين فلكم أن تتخيلوا كيف ستكون مع أي مواطن يبدو في عينيه أن قد يحتمل أن يفكر في نقد النِّظام؟!!

هٰذه حقيقة وليست افتراء أبداً. ولا فيها حَتَّىٰ أي مبالغة. راجعوا صفحتاهم واقرأوا ماذا يوجد فيها، راجعوا صفحات أناس موضوعيين حياديين كيف يتهجون عليهم ويكيلون لهم الاتهامات والشتائم والمسبات والتلفيقات...

لا أريد أن أناقش إن كان ذَلكَ خطأ أم صواباً. ولا أريد أن أبحث في أسباب ذَلكَ. وكلاهما ليس في صالح أنصار النِّظام علىٰ أيِّ حالٍ. ولٰكن لا بُدَّ من النظر في نتائج ذَلكَ.

إلىٰ أين تقود هٰذه العلقيَّة؟

بداية سأفترض أنَّهُم ليسوا كلهم كذَلكَ. سأفترض أنَّهُم فقط نشطاء مواقع التَّواصل الاجتماعي. وسأفترض أنَّهُم بضع مئات فقط بل بضع عشرات لا أكثر... والواقع يثبت أو يؤكد أو يكشف أنَّهُ لا توجد غير هٰذه الأصوات علىٰ مواقع التَّواصل الاجتماعي. لا توجد أصواتٌ مقابلةٌ تبرِّر أو تتبرأ أو توضح هٰذا الخطاب الذي يبدو أنَّهُ خطاب أنصار النِّظام. خلاف مواقع الثَّورة التي فيها أشكال وألوان واتجاهات.

عندما لا يكون هناك أي صوت معارض أو رافض أو مناقش يدل علىٰ وجود إرادة جَمعيَّة لا يمكن الاقتناع إلا بأنَّهُم جمعاً وجمعيًّا هٰذا الصَّوت الوحيد البارز.

هٰذا جانب من النَّتيجة أو النَّتائج المترتبة علىٰ هٰذه الرؤية العميانيَّة أو الدونكوشيوتية التي تحارب الجهات كلها وتطلق النار علىٰ الجهات كلها من دون تفكيرٍ أو تمييزٍ أو اعتبار.

نتيجة مختلفة عن هٰذه النَّتيجة يدركها أيُّ مبتدئ في علم النَّفس، بل هي لا تحتاج إلىٰ كبير جهد ليصل إليها أيُّ واحدٍ يفكر في الموضوع:

عندما تفتح نارك علىٰ الجميع يفتح عليك الجميع نيرانهم.

عندما تحارب كل الجهات تنكشف جبهاتك من الجهات كلها وتصبح كلك عورات.

بطبيعة الحال لا أتوقع أنَّ أحداً من أنصار النِّظام قد فهم ما قلته أبداً، ليس لعجز في القدرة علىٰ الفهم بل لعدم وجود الإرادة علىٰ فهم الآخر حَتَّىٰ وهو ينصحه ويساعده.

هنا في حقيقة الأمر نحن أمام مصيبة جديدة يتمتع بها بامتياز أنصار النِّظام. يتمتعون بها بامتيازٍ منقطع النَّظير، وهي أنَّهُم حَتَّىٰ مع من ينصحهم لا يختلفون في ردود أفعالهم تجاه من ينقدهم، وتجاه من يقف ضدَّهم... تستوي عندهم الأشياء والأشخاص بعمى ألوان غير طبيعي أبداً... حَتَّىٰ عمى الألوان لا يمنع المرء من التمييز بَيْنَ المتناقضات.

لاحظت مراراً منذ أول الثَّورة أن من يوجه النصيحة للعلويين وأنصار النِّظام بالعموم، يواجه بسيل من الاتهامات والإدانات فقط لأنَّهُ ينصحهم لمصلحتهم لا لمصلحة غيرهم ولا لمصلحة خصومهم ولا لمصلحة أعدائهم... فكيف سيكون الأمر من الخصوم مباشرة أو الأعداء مباشرة؟!؟!

هٰذه العلقيَّة هي الخاسر مهما بلغ ربحها المؤقت. لأنَّهَا بالدَّرجة الأولى علقيَّة استعدائيَّة تشتري العداء والأعداء من العدم، وتصنع من الأصدقاء أعداء، وتجعل الخصوم أعداءً، والأعداء في عدائهم أشد عداءاً وأشدَّ عناداً.

وليس هٰذا فحسب بل الخطورة الأكبر تنعكس علىٰ هٰذه العلقيَّة ذاتها من ذاتها إذ إنَّهَا تصبح دائرةً مغلقة منغلقة علىٰ ذاتها تفهم وتفسر علىٰ ضوء محدود معطياتها أو علىٰ ضوء معطياتها فقط، فتفقد بذٰلكَ كل فرص الفهم والتفسير الأُخْرَىٰ التي لا تنسجم مع معطياتها التي يبدو جليًّا أنَّها خاطئة. وعلىٰ افتراض صحتها فصحتها محدودة ولا تغطي كل الاحتمالات الموجودة أمام العين والعقل مباشرة.

من البداهة بمكان أنني عندما أفترض أن الآخر علىٰ خطأ مهما فعل وأتعامل معه علىٰ هٰذا الأساس فإنِّي سأفقد فرصة فهمه، وسأفقد الحقيقة. وحَتَّىٰ علىٰ افتراض أنِّي علىٰ صواب فإنَّ انطلاقي من قناعة أنَّ الآخر علىٰ خطأ سيفقدني فرصة إدراك معرفة جديدة وفهمها قد تدعم حقيقتي وقد تطورها وقد تغيرها...

لا أريد أن أتوسع في تفسير هٰذه الظاهرة أو الممارسة، وإنما أكتفي بأبسط التفسيرات وأقربها وأكثرها دقة وشيوعاً وهي هٰذا الانغلاق علىٰ الذات بهٰذه الطريقة دليل ضعف وباطل معاً. من ضعفت حجته انغلق علىٰ نفسه حَتَّىٰ لا يرىٰ غيرها ولا يغيرها.

ولما لا يريد تغييرها؟

هٰذا السُّؤال الذي لا يمكن أن تجد له جواباً شافياً أبداً. إن كان مقتنعاً بانه علىٰ باطل ولا يريد تغيره فنحن أمام مصيبة، وإن كان مقتنعاً علىٰ صواب ويخاف عليه فهٰذا دليل ضعفه وعدم قناعته بصوابه مما يجعله أقرب إلىٰ أن يكون مقتنعاً بأنَّهُ علىٰ باطل وعلىٰ خطأ. إنَّ من وثق في حقيقته لم يخش عليها ومن وثق في أنَّهُ يريد الحقيقة لم يتمسك بما عنده حرصاً علىٰ الوصول إلىٰ الحقيقة.

حسناً، ليؤمن كلٌّ بما أراد، وليفعل كل ما أراد. لا بأس في ذٰلكَ من جهة المبدأ، ولٰكن أن ينعكس هٰذا السُّلوك والفعل والإيمان الخاطئ وغير الواثق علىٰ الآخرين فهٰذا أمر يجب الوقوف عنده، ويحق للآخرين المتضررين التدخل فيه لدفع ضرر سلوك خاطئ عن أنفسهم. وهنا سندخل في تعقيدات فلسفية لا يحتاجها أكثر الناس.

(2)

الفصل التاسع عشر

هل تحمي أمريكا العلويين فعلاً؟

منذ بداية الثَّورة قلت وكتبت ونشرت للتوثيق: «إنَّ أمريكا هي من سيحمي بشار الأسد والدُّول العربيَّة معها»[٢٠].

لم يصدق أحد أبداً وظَّلت الثَّورة ومحلليها وقوادها حَتَّىٰ الآن يناشدون أمريكا التَّدخُّل، وحَتَّىٰ الآن يناشدون أمريكا المساعدة، وحَتَّىٰ الآن يترقبون أيَّ

(٢٠) .كتب هٰذا المقال في ٢٩/٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

تصريح أمريكا يزعم أنَّهُ يريد دعم الثَّورة... ويهرعون لتقبيل الأيادي وشكر العم أوباما علىٰ فعلٍ فعلٍ لن يفعله.

من قبل أن تصرِّح أو حَتَّىٰ تلمح أمريكا أيَّ تلميح من هٰذا القبيل كنت أقرأه وأعرفه وأعلنته ولم أخفه. المسألة ليست مسألة مهارةٍ ولا براعة ولا عبقريَّة، المسألة مسألة معرفة وخبرة. ولٰكنَّ التَّلميحات التي بدأت منذ أوائل عام ٢٠١٣م تقريباً، والتَّصريحات التي لم تبتعد عنها كثيراً كانت أوقع من المتوقع وأقذر من المحتمل عند من يقرأ ويجيد القراءة. ولا أعود إلىٰ ما كتبت فيه الكثير الكثير.

أعود فقط إلىٰ عنوان مقال نشرته منذ أكثر من سنتين بعنوان: جون كيري يضحي بالعلويين. وكيري هو أمريكا. أمريكا تطمئن العلويين سرًّا تطميات كثيرة، وتعلن حمايتها للعلويين علناً.

هٰذه صورة الحدث لا مضمونه. مضمونه هو أن أمريكا تقود العلويين إلىٰ مجزرة كبرى ولا تقوم بحمايتهم. لننظر في تصريحٍ حواريٍّ غير بعيد علىٰ لسان النَّاطق الرَّسمي باسم وزارة الخارجيَّة الأمريكيَّة جوش بيكر عندما سأله الإعلامي موسى العمر قائلاً:

. تعلمون أن ضربات جوية مركزة على النِّظام بدمشق سيسقط بساعات

أجاب جوش بيكر: نعم، ولٰكن ومن يحمي العلويين؟

هٰذا الجواب هو ذاته جواب المسؤولين الأمريكيين الكثيرين في مختلف المستويات، بما يعني أنَّهُ ليس اجتهاداً شخصيًّا، ولا ارتجالاً، ولا حَتَّىٰ خوفاً علىٰ العلويين. إنَّهَا سياسة دولةٍ معممة علىٰ مختلف المسؤولين.

صورة الكلام توحي بأنَّ أمريكا تريد حماية العلويين، أمريكا لا تريد الاعتداء علىٰ العلويين.

جميل، وجميل جدًّا.

وأضيف هنا قول شاب علوي قرأته علىٰ صفحته وتداوله الكثيرون منذ أشهر قليلة قال فيه مخاطباً العلويين: «إياكم أن تظنوا أن الجيش الحر عاجز عن اقتحام قراكم ومدنكم وتدميرها. الذي يمنع الجيش الحر من الاقتراب منكم هو أمريكا وإسرائيل... لولا أمريكا وإسرائيل لما بقيت قرية علوية إلا وهي تحت سيطرة المجموعات المسلحة».

علىٰ أيِّ حال، كما تساءلت منذ سنتين تقريباً عندما صرَّح جون كيري التصريح ذاته، ألا يعني ذَلكَ أنَّ أمريكا تسمح للعلويين بقتل السوريين، ولنكن أكثر وضوحاً، ألا يعني ذَلكَ أن أمريكا لا ترى مانعاً في أن يقوم العلويون الأقلية بقتل وتشريد السنة الأكثرية؟!

كتبت كثيراً في هٰذه الازدواجيَّة تحديداً ولا أعود إليها، أكتفي فقط بما نحن فيه. ماذا تعني هٰذه التناقضات الصارخة في هٰذه القضية؟

ألا يعني ذَلكَ أنَّ أمريكا تسترخص دماء السنة وتستبيها وترى قتل السنة حلالاً وجائزاً؟ ومن ثمَّ فإنَّ أمريكا تجر نفسها إلىٰ مواجهة وتصعيد المواجهة مع الإسلام أكثر وأكثر مما هي عليه أصلاً.

ألا يعني ذَلكَ أن أمريكا تريد أن تكافئ القاتل والجاني والمجرم وتمنع الاستداد منه للضحايا؟ ومن ثَمَّ فإنَّ أمريكا أيضاً تجرُّ نفسها إلىٰ مواجهات إضافيَّة ستبدأ ولن تنتهي. وفي الوقت ذاته ستجرُّ العلويين إلىٰ دوامة الانتقام.

ألا يعني ذَلكَ أنَّ ذَلكَ سيولد ردة فعل ارتكاسيَّة علىٰ قبول المسامحة عند السوريين وخوض حرب أهليَّة لن يكون العلويون فيها الرابح أبداً ولو وقف معهم قوى الأرض كلها؟

علىٰ نحو مماثل تماماً لما صرح به كيري وبيكر كان تصريح المؤرِّخ الإسرائيلي الفرنسي ألكسندر أدلر عام ٢٠١٢م إذا قال: «لا يمكن أن نسمح بحدوث مجزرة بحث العلويين ونحن نتفرج».

السؤال الفج الذي يفرض ذاته هنا:

. ما علاقة العلويين بإسرائيل وأمريكا حَتَّىٰ تتنطعان للدفاع عنهم بهٰذه الطريقة وهٰذه الحماسة؟

وهل حقًّا هي رغبة حقيقية في حماية العلويين؟ ولماذا؟ وممن تحميهم؟

أسأل ممن تحميهم لأنَّ هٰذه التصريحات صدرت في وقت مبكر من الثَّورة، قبل تكون أي رد فعل انتقامي، وقبل تكون جرائم النِّظام المنسوبة للعلويين بهٰذا الحجم الهائل. من أين جاءوا بهٰذا التَّوقُّع الواهم بأنَّ المسلمين سيرتكبون مجزرةً بحقِّ العلويين؟ هل هم سحرة؟ هل يعلمون الغيب؟ أم وراء الكمة ما وراءها؟

لاحظوا جيِّداً أن التَّبكير بهٰذه التَّصريحات ليس مصادفة أبداً، إنَّهُ تطمين العلويين للاستمرار في الصُّمود ومواجهة الثَّورة ودعم النِّظام، أي من أجل استنزاف سوريا وتدميرها وليس من أجل حماية العلويين. قد يكون هناك ما يدعو أمريكا للسعي لحماية العلويين، ولٰكن ممن تحميهم عندما لم يكن هناك أيُّ توجه ضدَّ العلويين بما هم طائفة؟ وعندما لم يكن هنا أيُّ تفكيرٍ انتقاميٍّ؟ أليس في ذَلكَ ما يؤكد سوء النية المسبقة؟

ألم يدفع العلويون نسبيًّا أكثر من المسلمين في هٰذه الثَّورة من الضحايا البشرية؟

إذن ما معنى أن تحميهم من مذبحة وهي تقودهم إلىٰ الهلاك التَّدريجي؟! أليس في هٰذا وحده ما يؤكد أنَّ الرَّغبة الإسرائيليَّة الأمريكيَّة هي مزيدٌ من توريط العلويين في حرب لا نهاية لها تنتهي بدفعهم الثَّمن الذي لا يجدي بعده أي عقوبة لهم؟!

العلويون أدركوا هٰذه الحقيقة وبدأوا بالفرار من الجيش ومن اللجان الشعبية وحَتَّىٰ الهروب إلىٰ أوروبا، ومن غير المفاجئ أن نسبة المهاجرين إلىٰ اوروبا في قوارب الموت باتت هي الأكبر في السنة الأخيرة.

ولـذلك تعمـل أمريكـا علـىٰ رفـع وتـيرة التطمينـات وإرسـال الرسـائل السِّـرِّيَّة بضـمان حمـايتهم وتؤكِّـد ذلـكَ أكثـر مـا تؤكِّـده بلجـم تشـكيلات الثَّـورة المسـلحة عـن التَّقـدُّم إلىٰ السَّـاحل أو أيِّ قريـة علويَّـة أو شـيعيَّة. مـا مـن أحـد مـنهم ومـن غـيرهم يجهـل اليـوم أنَّ مـا يمنـع تشـكيلات الثَّـورة المسـلحة عـن السَّـاحل هـو أمريكـا ذاتهـا ولـيس عـن طريـق وسـطاء، وتسـتخدم كـلَّ أوراق الضَّـغط لإيقـاف أي معركـة أو توجـه إلىٰ السـاحل، كمـا تفعـل مـع نبـل والزهـراء في حلـب المحاصـرتين منـذ ثـلاث سـنوات، كلمـا أطلقـوا عليهـا طلقـة أوقفـوا بعـد يـوم أو أقـل... وهٰـذا مـا حـدث مـع كفريـا والفوعـة في إدلـب في معركـة رفـع الضـغط عـن الزبـداني: ارتفـع الضَّـغط عـن كفريا والفوعة وبقي الضغط علىٰ الزبداني.

أمريكا إسرائيل والدول العربية الشقيكة تريد أن لا تنتصر الثَّورة، تريد أن يستمر الصراع، ولآ أعود إلىٰ الأسباب التي تكلمت فيها غير مرة في مواضع كثيرة

سابقاً. بعضها يريد جر سوريا إلىٰ حرب أهلية وبعضها لا يريد وبعضها حيران... ولٰكنَّ النتيجة واحدة علىٰ الجميع وهي أنَّ غباء إدارة الصراع وغاياته التي لا يمكن أن تستقيم مع منطق منسجم مع نفسه لك يكن ثَمَّة بُدَّ من وصول الأمور بطبيعة الحال إلىٰ التشنج الذي يجر إلىٰ حرب أهلية سواء وقع التقسيم أم لم يقع. الحرب الأهلية نتيجة تقود إليها إدارة الصراع السوري من قبل الفريق الصهيوعربيكاني. علىٰ الأقل من ناحية المناداة بحماية العلويين، والتَّخويف من مجزرة بحق العلويين، والتَّهديد بالتقسيم لحماية العلويين.

التَّقسيم كتبت فيه غير مرَّةٍ منها مقال مستقل مطول نشر منذ شهر تقريباً في ٢٠١٥/٦/١٤م بعنوان: من يريد تفتيت سوريا والمنطقة. يبقى أمر حماية العلويين الذي يظهرة الأمريكا والأعاريب علىٰ السطح بتهديدات وممارسات مختلفة.

ما معنى حماية العلويين؟

ومن قال بأن هناك من يريد أن يرتكب مجزرة بهم وقد شاهدنا كيف تعاملت معهم التشكيلات الإسلاميَّة وتشكيلات الجيش الحر عندما دخلت بهٰذه المناسبة أو تلك إلىٰ القرة العلوية في فترات متفاونة. كل ما راينا يؤكد عدم وجود أي فكرة انتقامية علىٰ الرَّغْمِ من كل ما رآه السُّوريون من اقتحامات الجيش للمدن والقرى السُّورية.

هل يعني ذٰلكَ عدم معاقبة المجرمين مثلاً؟

أي شرعة أو شريعة هٰذه؟

بل إنَّ الطروحات التي تقدِّمها المجموعة الصِّهيوعربيكانيَّة تتجاوز ذٰلكَ إلىٰ تقاسم السُّلطة بطريقةٍ تكافئ المجرمين علىٰ جرائمهم. وهٰذا كله لن يؤدي إلا إلىٰ

نتيجة واحدةٍ مهما تباينت صورها وهي تصعيد ردة الفعل لدى السوريين تجاه أفعال انتقاميَّة، ولا يمكن أن يجهل الفريق الصهيوعربيكاني هٰذه الحقيقة، بما يعني أنَّهُ يريد أن يدفع إليها ويفعل لا يريد فقط. بما سيؤدي إلىٰ حرب أهليَّة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

تستطيع قوى المافيا والمجتمع الدولي نفخ نار الحرب الأهلية، وتستطع إكثار الدعم بالسلاح لفريق علىٰ حساب فريق. هٰذا صحيح. ولٰكن لا يمكن أبداً التحكم بالحرب الأهلية العادية مهما كانت دائرتها ضيقة. يمكن التَّحكُّم إلىٰ حد ما بإيقاعات حرب أهليَّة في أيِّ دولة كبيرة أو صغيرة أو محدودة الامتداد العرقي أو الطائفي... ولا يمكن أبداً ضبط إيقاع حرب أهليَّة في بلد مثل سوريا له الامتدادات الطَّائفية والدِّينية والعرقية.

الحرب الأهلية التي ستكون في سوريا إذا كانت لن تكون حرباً سوريَّةً أبداً ولا بحال من الأحوال، ستكون المنطقة كلها وقوداً لها ومدداً، وسيكون العالم الإسلامي كله مشتركاً فيها بكل تأكيد في مراحل متطورة.

يتوهَّم الغربُ أنَّهُ سيربح من حرب أهلية تأكل المسلمين. بالتَّأكيد إنَّهُ يتوهم. لأنَّ الحقيقة أنَّهُ سيكون الخاسر الأكبر في المحصلة. ومن يتابع واقع اليوم يدرك معنى هٰذا الكلام جيداً.

حروب أهلية وطائفية
بقاء الأنظمة العميلة
الشعوب العربية

الفصل العشرون

تغييب السوريين عن الحل وهم الأصل

بقدر ما أفرزت الثورة السُّورية من مآس وتناقضات وانفضاحات أفرزت الكثير من المضحكات التي تجعلك تنقلب علىٰ ظهرك من شدة الضحك[٢١]... تضحك من شدة التناقضات والمفارقات المؤلمة لا المفرحة ولا المبهجة.

هناك من يرى القاتل وهو يقتلك

ومع ذَلكَ يصور يدك المضرجة بدمك

ويقدمها علىٰ أنَّهَا غاصت في دماء القاتل

(٢١) .كتب هٰذا المقال في ٨/٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

مشهد صغير من هٰذه المشاهد المربكة حقًّا من تعامل المجتمع الدولي عامة والإقليمي خاصة مع الثورة السُّورية. ومشهد آخر قد يبدو الأكثر مفارقة وإضحاكاً هو تصرف المجتمع الإقليمي ودول العالم المختلفة مع الثورة السُّورية في مسارها وفي حلولها وكأنها ليست مشكلة السُّوريين، الكل جمعاً وفرادى يجترح الاقتراحات والحلول والتوقعات من دون إذن السُّوريين ومن دون معرفة السُّوريين ومن دون رأي السُّوريين ومن دون أخذ رغباتهم أو مواقفهم أو قبولهم أو رفضهم بعين الاعتبار.

مشاهد هٰذا السلوك كثيرة جدًّا لا قليلة، إذا قلت من باب الدعابة أنَّهُ لم تبق دولة في العالم لم تقترح وتفتي في الوضوع السُّوري علىٰ أساس تغييب السُّوريين فإني أشعر أنَّهُ لا مبالغة في هٰذه الدعابة، والمتتبع يلتقط من الممارسات والتصريحات علىٰ مدار الكرة الأرضية ما يدنو من الإندراج تحت هٰذا الباب. كتبنا في بعضها أو رُبَّما كثير منها تحت بنود وأبواب أُخْرَىٰ علىٰ مدار ما سبق من السنوات، ونقف في هٰذا المقال عند الفكرة في جوهرها وهي تغييب السُّوريين أصحاب المشكلة والمستقبل عن مقترحات حلول مشكلتهم.

دي ميستورا المبعوث الأممي إلىٰ سوريا لم يغرد خارج هٰذه الجوقة منذ بدايات مباشرته عمله ومهمته. كان فيما بدا سابقاً جنديًّا من جنود التظام حَتَّىٰ أطلق عليه لقب وزير المصالحة الوطنية علي دي ميستورا.

لا أعود إلىٰ مراحل مهمته وقد كتب فيها الكثير، أقف عند تقريره الذي قدمه منذ أيام قليلة إلىٰ الأمين العام للأمم المتحدة. قال بالحرف: «إنَّ السُّوريين باتوا موقنين بأهميَّة محاربة الإرهاب وليس النِّظام أو الميليشيات التي يعتمد عليها».

هل هٰذا افتراء علىٰ الحقيقة، هل هو افتراء علىٰ السُّوريين؟ ومن أين جاء بهٰذا الكلام؟

الواقع يثبت بما لا يقبل الشك أن يكذب ويكذب كذبة كبرى لا يمكن تصديقها، ولا يمكن القبول إِنَّهُ مخدوع. قد يقول قائل إن المعارضين الذين التقاهم هم من أخبروه من ذٰلكَ. ذٰلكَ ممكن ولٰكن إذا كان لا يعرف من هم المعارضين ومن هم الذين يقابلهم فهو أهبل مسطول لا يجوز أن يؤتمن علىٰ مستقبل شعب ودولة عدد سكانها ٢٣ مليون نسمة ناهيكم عن حيثيات أُخْرَىٰ تفوق ذٰلكَ بألف ألف مرة.

أيعقل أن يلتقي اثنين من الشارع أو ثلاثة لا يعرف منهم ويبني علىٰ قولهم؟ أيعقل أن يلتقي أشخاصاً معروفين بانتمائهم للنظام وهم أبناء النِّظام ويعتبرهم ممثلين للشعب السُّوري ويبني علىٰ قولهم رأي الشعب السُّوري؟!!

هٰذا أمر لا يعقل أبداً، ويدل دلالة صارخة علىٰ أنَّ المجتمع الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة والأمم المتحدة ممثلة بمبعوثها لديها رؤية معينة وطريقة معينة في التعامل مع الثورة السُّورية والشعب السُّوري لا يعنيها الشعب ولا الثورة بقدر ما يعنيها تمرير مشروعها المتعارض من الشعب والثورة، والمضحك في ذٰلكَ أنَّها صارت تتكلم باسم السُّوري افتراء وكذباً وادعاءً مما هم بريئون منهم ولا ليس من رأيهم ولا قولهم ولا موقفهم، إلا إذا كان الشعب السُّوري هو النِّظام وأنصاره كما يقول النِّظام.

والفكرة المشكلة والمعضلة هي العمل علىٰ تفصيل حل، اقتراح حل، التأسيس لحل للمأساة السُّورية من دون أن يكون للسورين الذي ثاروا ليصنعوا الحل أي مكان أو رأي أو موقف من الحل.

عينة أُخْرَىٰ ومشهد آخر هو إيران. عندما انتهى الملف الإيراني بتلك الابتسامة الإيرانية الصفراء قال الكثير من كبار المحللين والسياسيين: «إنَّ إيران حقَّقت ما تريد ولم يعد يعنيها الأسد ولا النِّظام السُّوري». فقلت في لقاء تلفزيوني في ساعات التوقيع: «لقد تفرغت إيران لدعم الأسد واحتلال سوريا... إذا كانت لم تتخل عنه وهي تختنق من الحصار فهل ستتخلى عنه وهي في بحبوحة وانفراج؟!».

أقول ذَلكَ لأؤكد حقيقة أنَّ إيران والنِّظام السُّوري طرف واحد وفريق واحد بدليل أن إيران هي التي تفاوض الثوار وتشكيلات الثورة المسلحة منذ أكثر من سنتين من دون إذن النِّظام أو علمه أو إرادته وتصله النتائج وعليه أن يوقع.

من هٰذا الباب إيران تتصرف مثلما يتصرف النِّظام من بداية الثورة في التعامل مع الثورة علىٰ أنَّها غير موجودة. ويجترح الحلول والاقتراحات وكأن شيئاً لم يكن. تغييب تام للمشكلة والثورة والشعب. وكان هٰذا السلوك الإيراني منذ دخلت إيران علناً علىٰ خط الثورة وما قدمته من مبادرات.

المشكلة كما نكرر ليست في المبادرة من جهة المبدأ، ليست في الرغبة في الحل، المشكلة في المبادرة ذاتها، في المبادرات ذاتها، التي تتصرف تصرفاً أحولاً أعمى. وهٰذا شأن المبادرة الإيرانية الأخيرة أو المعدلة الأخيرة التي كانت منذ أيام قليلة علىٰ أساس أنَّها حل للأزمة السُّورية.

بغض النظر عما فيها من غموض وعدم وضوح في كل بنودها، فإنها مبادرة تدميرية. المبادرة الإيرانية هي لبننة وعرقنة لسوريا وليست حلاً سياسياً. إنها أخطر على مستقبل سوريا من بقاء النِّظام. ومن أخطرها ما يسمى دسترة حقوق الأقليات، وأي حديث عن حقوق أقليات هو قضاء علىٰ الدولة وعلىٰ

مستقبل سوريا، هو إعادة للدولة إلى ما قبل القبيلة. هذا لا يعني أنَّ الأقليات لا حقوق لها... هٰذا هراء.

المشكلة إذن ليست في اقتراح مبادرة أو حل المشكلة في الحل المقترح ذاته، في المبادرة ذاتها التي تغيب السُّوريين عن مشكلتهم واعتبرهم غير موجودين. آفة كل الأطراف أنَّها تقدم الحلول والاقتراحات علىٰ أساس أنَّ المشكلة فعلاً بَيْنَ الأسد وأطراف أُخْرَىٰ غير سورية! ألا يعقلون أنَّهُ لو كانت المشكلة كذَلكَ فعلاً لما كان ثَمَّة مشكلة؟!

روسيا قبل إيران مارست هٰذه العادة بالسر والعلن؛ تقترح، وتخطط، وتصمم، وتفصل الحلول بل وتقرر ما سيكون وما يجب أن يكون في سوريا علىٰ مزاجها وكأن سوريا للروسيين وليست للسوريين. فهي لا تقبل أن يحكم غير النِّظام في سوريا، وقالت صراحة لن تسمح بأن يحكم المسلمون (السنة) في سوريا. ومنذ ثلاث سنوات كان لافروف يدافع عن دفاع حزب الله عن العتبات المقدسة، وقال: لن نسمح لأحد بإدانة دفاع حزب الله عن العتبات المقدسة في سوريا.

روسيا لم تغير موقفها، بل قالت: لن يتغير موقفها. ومع ذَلكَ كل بضعة أشهر نجد محللين سياسيون كبار (خربوا الثورة بتحليلاتهم)، وسياسيون يكررون منذ أنَّ الموقف الروسي تغير من الأسد وأنَّهُم تخلُّوا عنه... حَتَّىٰ تكاد تخال أنهم سيثورون علىٰ الأسد بموسكو. والطريف أن مثل هٰذا الكلام قيل عقب قول لافروف ذاته إن موسكو لن تتخلى عن الأسد، ولم يتغير موقفها من الأسد والصراع في سوريا.

فمن أين جاؤوا باستنتاجاتهم وكيف يفهمون؟

أنا لا أدري إن كنت لا أدري.

الأمر ذاته يقال علىٰ أمريكا التي يبدو للكثيرين أنَّها غيرت موقفها في الآونة الأخيرة، والأمر غير صحيح، هي أيضاً لم يتغيَّر موقفها من الثَّورة والنِّظام السُّوري منذ بدايات الثورة.

ولا أعود إلىٰ تاريخ هٰذا الموقف الأمريكي الذي كتبت عنها عشرات المقالات والتعليقات، أكتفي بآخرها منذ أيام عندما أعلن وزير الخارجية السُّوري وليد المعلم بافتخار واعتزاز أنَّ أمريكا طمأنت النِّظام السُّوري بأن الجيش الحر الذي تدربه أمريكا سيقاتل داعش فقط ولن يقاتل النِّظام... وكنت قد قلت في لقاء تلفزيوني منذ سنة تقريباً إنَّ الجيش الحر سيتَّحد مع النِّظام قريباً برعاية أمريكية عربية. من غير المعقول أنَّ النِّظام لا يعرف هٰذه الحقيقة حَتَّىٰ الآن.

أما الدول العربيَّة وخاصَّة الإقليمية فيبدو ظاهريًّا أنَّها تقف موقف المتفرج في إطار المبادرات والحل السياسي. توقفت مبادرات العرب عند مبادرة الجامعة العربية عام ٢٠١١م. ولم تفعل شيئاً بعدها. هٰذا في الظاهر لا أكثر. ولٰكنَّ التسريبات تقول بإيمان الدول العربية وخاصَّةً الإقليمية بالحل السياسي وبقاء بشار الأسد من دون تحديد مدَّة علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها تبدي خلاف ذٰلكَ فكل ما رشح من تسريبات يوحي بغموض تام في المدة التي سيبقاها الأسد في المرحلة الانتقالية، وحَتَّىٰ آليات المرحلة الانتقالية التي تتيح للأسد استعادة السلطة بهدوء والترشح للولايات الدستوية الجديدة.

علىٰ أيِّ حال، والمصيبة في ذٰلكَ كله، هي مشكلة التهميش ذاته للشعب السُّوري علىٰ نحو الخصوص، وللشعب الثائر علىٰ نحو أكثر خصوصية، وللنظام ذاته إلىٰ حدٍّ ما.

ومع ذَلكَ المسألة تتجاوز التهميش إلىٰ قلب المجن والتعامل مع المأساة السُّورية تعاملاً سرياليًّا لا يمكن تخيله ولا تقبله. هٰذا التعامل من الأطراف جميعها لا من طرف واحدٍ، في توافق لا يصدق بَيْنَ أصدقاء النِّظام وأصدقاء الثورة في آن معاً. الأمر الذي يضع هٰذا الانقسام أمام تساؤلات بل اندهاشات تتجاوز المحتمل.

لا أعرف لماذا كل الاقتراحات التي قرأتها لحل الأزمة السُّورية منذ البدايات وحَتَّىٰ الآن توحي بأنَّ المقترحين أغبياء أكثر من الاحتمال وأنَّهُم قادمون للتو من مجرة أُخْرَىٰ غير المجرة التي فيها الكرة الأرضية وعلىٰ الطاير ومن دون سماع شيء باضوا اقتراحاتهم.

الحل الذي كان يصلح قبل سنيتن يطرح الآن، والحل الذي يصلح في الأسبوع الأول من الثورة تم الوصول إليه بعد سنتين على الأقل!!!

عجبي

ومع ذَلكَ كلِّه، فإنَّ الأخطر والأشنع في المعضلة ليس في صورتها السابقة بقدر ما هو في بنيتها، طريقة تأسيس الحل السياسي للأزمة السُّورية، علىٰ تسليمنا بأنها صارت أزمة وصراعاً وليست ثورة، هٰذه البنية التي تقوم علىٰ معضلة المفارقة المضحكة المبكية، وهي أن هٰذه الحلول تصاغ علىٰ أساس أنَّ النِّظام هو الذي قام بالثورة علىٰ الشعب، وأن النِّظام هو الذي تعرض ويتعرض للقتل والتشريد والظلم، وأن النِّظام هو الطرف المهيض الجناح، الأعزل، السلمي، المسكين، الذي يجب أن يقف الجميع إلىٰ جانبه، وإنصافه، وتقديم الضمانات له بالحماية، والبقاء في السلطة وامتلاك أوراق القوة حَتَّىٰ لا يتعرض للظلم والعدوان من جديد من قبل الشعب!!!

شيء يضع العقل في الكف.

بدا هٰذا التصور في كل المبادرات التي قدمت للحل السياسي السُّوري منذ مبادرة الجامعة العربية ٢٠١١م إلىٰ آخر مبادرة حَتَّىٰ الآن، بما فيها المبادرات التسريبية التي لم تر النور. تحت زعم المحافظة علىٰ مؤسسات الدولة كل المبادرات تصر علىٰ المحافظة علىٰ المؤسسة الأمنية والعسكرية والخارجية تحت سلطة النِّظام في مرحلة انتقالية غير محددة المعالم، ومصير غير واضح للنظام ورأس النِّظام، ناهيكم عن المحاصصات وما يزعم أنَّهُ حماية الأقليات. وتكون مهمة الثوار هي إعمار ما دمره النِّظام في ظل النِّظام والقبول بهٰذا الشرف الرفيع... أي بمعنى صريح صراحة تامة: معاقبة الشعب علىٰ عدوانه علىٰ النِّظام، وتحقيق مطالب النِّظام المحقة في خضوع الشعب من دون اعتراض.

ومع ذٰلكَ تظهر دائماً مفارقات مضحكة من شدة عجائبيتها في إطار ما يسمى الحل السياسي، ما بَيْنَ الحين والحين يولولون أنَّ هناك تسريبات مؤكدة عن تسارع في تغير الموقف الروسي والإيراني والغربي والصومالي... إنَّهُم يضعون اللمسات الأخيرة علىٰ حلٍّ سياسيٍّ يقضي في (النهاية) برحيل بشار الأسد...

ولكن لا أحد حدَّد أو يحدِّد متى ولا كيف تكون هٰذه النهاية التي بعدها سيرحل بشار الأسد: سنة، ستين سنة... الله أعلم.

وفي السياق ذاته كل الأطراف الدولية والإقليمية تصرخ قائلةً: لا مستقبل للأسد في سوريا... الكل متفقون علىٰ رحيل الأسد.

حسناً، إذا كان الكلُّ يتفقون علىٰ رحيل بشار الأسد، فلماذا هم أنفسهم يحاربون الثورة ويمنعونها من النصر؟!

بل لماذا يحاربون المشردين السوريين في أرجاء الأرض كلها؟!

إما أنَّهُم يكذبون أو أنهم يكذبون وفي حقيقة الأمر هم يكذبون...

وللطرافة فرائدها، ففي هٰذا السياق أقفلت أبواب الدنيا النِّظامية كلها أمام السُّوريين الذين شردهم النِّظام وهم بالملايين غير القليلة. لا يحصول السُّوري علىٰ تاشيرة دخول إلىٰ أي بلد في العالم، مع استثناء محدود جدًّا، إلا بطلوع الروح وطلوع الروح أهون وأسهل وأسرع من الحصول علىٰ تأشيرة الدخول إلىٰ أي دولة في العالم؛ العربية قبل غيرها.

ويزداد الطين بلة في هٰذا الإطار عندما نعلم أن الملايين من غير السُّوريين (أفارقة، آسيويين) استغلوا المأساة السُّورية وصاروا يهاجرون إلىٰ أوروبا، وكثير منهم علىٰ أنَّهُم سوريون، ومع ذٰلكَ القرارات القاسية كلها بحق المهاجرين تخص السُّوريين فقط وتقريباً فقط.

بل من أطرف طرائف التاريخ المعاصر أنَّ الدُّول الأوروبيَّة حَتَّىٰ في ظلِّ الصراع الأيديولوجي والحرب الباردة لم يكن بينها أسلاك شائكة ولا غير شائكة ولا حدود مسيجة... وفقط بسبب الثَّورة السُّوريَّة أو علىٰ إثر الثَّورة السُّوريَّة صارت كلُّ الدول تسيج حدودها بأسلاك شائكة وأسوار معدنية ورُبَّما جدارن قذافية.

عندما قلت منذ ثلاث سنوات إنَّ الثَّورة السُّوريَّة ستغير دوزان البشرية وموازينها استغرب الكثيرون.

صحيحٌ أنَّ الغريق يتعلق بقشة. وصحيح كما يؤكد الكثيرون أن ا لمجتمع الدولي والإقليمي يقود السُّوريين إلىٰ الغرق ليتعلقوا بالقشة ويقبلوا أي حل، ولٰكنَّ السؤال:

هل وصل السُّورويون إلىٰ مرحلة الغرق حَتَّىٰ يتمسكوا بقشة؟؟؟

أم هم الفارغون التافهون الذي يريدون تسجيل الحضور والظهور بأيِّ خبرٍ أو تعليق حَتَّىٰ ولو أدى إلىٰ خراب ودمار فيسوقون من دون أن يدروا لأخبار وتسريبات لا تخدم الحقيقة ولا تخدم الثورة السُّورية ولا مستقبل سوريا؟!

لا تتخيلوا ضعيفاً ولا قويًّا يجرؤ علىٰ جعل آخر مسخرة إلا إذا الآخر أبدى استعداده ليكون مسخرة.

المجتمع الدولي والإقليمي يلعب ويتلاعب بالثورة والسُّوريين لأنه لا يوجد لهم أب، لا يوجد خلهم قيادة، بل الأدهى من ذَلكَ أن من يسمون أنفسهم قيادة للثورة وممثلين للشعب السُّوري أقل بكثير من أن يؤتمنوا علىٰ مصالح الشعب والثورة ومستقبل سوريا، ولو أن بينهم رجالاً لما تجرأ أحد علىٰ تغييبهم هٰذا التغيب شبه المطلق.

القطار بكل الأثقال

يتواثب فوق السكة

وسيخرج عنها قريبا سريعاً

وإذا خرج عن السكة لن يستطيع أحد إيقافه مهما فعل.

الفصل الحادي والعشرون

خطاب أنصار النظام بين الأمس واليوم

خطاب النِّظام وأنصاره منذ أول الثَّورَة إلىٰ اليوم لا يمكن اختصاره بمقال واحد ولا يجوز أصلاً اختصاره بمقال واحد. يحتاج إلىٰ مقالات ورُبَّما كتب لتفيه حقه[٢٢]. بل إنَّ التناقضات وحدها في هٰذا الخطاب تحتاج إلىٰ كتب لا كتاب واحد فقط.

(٢٢) .كتب هٰذا المقال في ٢٠/٨/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

علىٰ أي حال هو لم يتغير في المبدأ. في المبدأ هو كذب علىٰ الآخرين، افتراء، فبركة، إنكار للواقع الذي لا يمكن إنكاره أي كذب علىٰ الذات يصعب التمييز إن كان مقصوداً بوعي أم فعليًّا غير مدرك.

من المقبول منطقيًّا أن يكون هٰذا الكذب علىٰ الذات مقصوداً واعياً، ولٰكنَّهُم لسوء حظهم يصدم بواقع لا يمكن إنكاره ولا يمكن تكذيبه بما يرتد عليهم بمردود سلبي أضعاف أضعاف ما يمكن أن يكون من القبول بمأساة الواقع إن كانت مأساة عليهم.

ولٰكن أن يكون الكذب علىٰ الذات فعليًّا غير مقصود ولا يمارس بوعي فنحن أمام مأساة نفسية لا نظير لها في تاريخ البشر. مثل هٰذه الحالة النفسية يمر بها أشخاص ولا يمر بها مجتمع، أو طائفة أو شريحة من المجتمع.

في الخط الأول من الخطاب لننظر علىٰ سبيل المثال في أنموذجين من هٰذه المفارقات التي لا تستقيم مع عقل ولا منطق بحال من الأحوال، بل مضحكة إلىٰ درجة الإغماء. وهما أنموذجان فقط من مئات النَّماذج المشابهة التي تتكرَّر شبه بَيْنَ اليوم اليوم.

قبل تمام السَّنتين من الآن كانت مجزرة الكيماوي الشَّهيرة. خرجت علينا بثينة شعبان وقالت: «قام الإرهابيون السُّوريون باختطاف أطفال العلويين من الساحل وجلبهم إلىٰ دمشق وارتكبوا بهم مجزرة بالسلاح الكيماوي». وفي الوقت ذاته قام أهالي الأطفال بتوزيع الحلوى والاحتفال والرقص فرحاً بهٰذه المجزرة وداروا بالسَّيَّارات في الشَّوارع فرحاً وابتهاجاً مطالبين باستكمال القضاء علىٰ البقية الباقية!!!

ومنذ ذَلكَ اليوم وأنا أحاول أن أفهم هٰذه المعادلة!!!

منذ بضع أيام ارتكب النِّظام مجزرة دوما عندما أطلق الصواريخ علىٰ مركز تسوق، ثمَّ أطلق الصواريخ علىٰ الناس التي تجمعت لإسعاف المصابين فذهب ضحية المجزرة نحو مئة وعشرين شهيداً وأكثر من ثلاثمئة جريح.

في اليوم التالي خرج علينا وليد المعلم وزير الخارجية وأنكر ارتكاب المجزرة وأنَّها ادعاء لا أساس له من الصحة، مثلما ادعى بعد أشهر وجود مسلحين وعرض فيديو لمسلحين لبنانين قبل الثَّورَة بعامين. المهم هنا أنَّهُ في هٰذا الوقت ذاته كان أنصار النِّظام يهنئون بعضهم بهٰذه المجزرة ويؤكدون أنَّ هٰذا هو جزاء المتمردين، وطالبوا بمسح دوما عن وجه الأرض... بعدم إبقاء حجر علىٰ حجر!!!

أعود فأكرر هٰذان أنموذجان لحدثين ظهرا بوضوحٍ لا يقبل الشَّك ولا الجدل علىٰ وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. وما خلاهما نماذج مماثلة أكثر من أن تعدَّ أو تحصى، كانت منذ بداية الثَّورَة ولم تزل بالطريقة ذاتها من دون أدنى تغيُّر أو تبدُّل.

في الخط الثاني من الخطاب الذي أيضاً لم يتغيَّر ولم يتبدَّل نجد جعل الأسد هو الخط الأحمر وليس الوطن ولا المقاومة ولا الممانعة، وكأن الأسد هو الوطن، هو الإله الذي لا يأتيه الباطل من حدب ولا صوب. منذ بداية الثَّورَة كان شعار النِّظام وأنصاره: «الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد». وقبل أيام أعلن عمران الزعبي وزير الإعلام بصريح العبارة: «أي حل سياسي يمس الأسد فاشل وساقط ولا محل له

من الإعراب». وما بينهما على مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الرسمية وفي الشارع المناصر للأسد فكرة واحدة تتكرر بمختلف المفردات والأساليب وهي: «الأسد خط أحمر».

هنا ولا أطيل في التعليق على ذَلكَ ثَمَّة فكرة محورية واحدة يؤكدها هٰذا الخطاب وهي شخصنة الصراع بالأسد ونفي كل ادعاءات النِّظام وأنصاره بأنَّ الحرب على الإرهاب، وأن الثَّورَة مؤامرة على المقاومة وعلى الممانعة وعلى الصمود... هٰذا الخطاب يؤكد أن المشكلة هي الأسد وليست الممانعة ولا المقامة ولا النِّظام حَتَّىٰ... فلا يعقل منطقيًّا أن يكون الأسد هو المقاوم الوحيد في سوريا وإذا راح راحت المقاومة والممانعة... وهٰذا الخطاب بشعاراته يؤكد تأكيداً قاطعاً بأن النِّظام على يقين بأن ليست هناك مؤامرة خارجية ولا إرهاب، فمن غير المعقول أن تخاطب العدو الذي يتآمر عليك بقول: إما أن توقف المؤامرة لتدمير البلد أو أدمر أنا البلد (الأسد أو نحرق البلد).

الخط الثالث من الخطاب تغير على مدار سنوات الثورات مرات متعددة ظاهريًّا وهو وصف الثَّورَة في كل مرحلة بوصف، اتهام الثَّورَة كل مرحلة بتهمة: فتنة طائفية، مندسين، مؤامرة كونية، إرهاب، تكفيريين. هٰذه الانقلابات في الخطاب كان من الطبيعي أن توقع صاحبها بمآزق التناقض، لأنَّ الكذب وعدم وصف الأمر بما هو عليه يعني الوقوع في الخطأ، الوقوع في الخطأ يتراكم إلىٰ تناقضات، التناقضات تؤدي إلىٰ تكذب الذات والوقوع في شر الكذب. ولذلك انتهت الاتهامات بالانقلاب عليها ووضع اليد بيد المتآمرين على سوريا والنِّظام

والممانعة... انتهت اتهامات النِّظام لأمريكا بالتآمر علىٰ النِّظام إلىٰ وضع يد النِّظام بيد أمريكا، إلىٰ توسل أمريكا ليكون النِّظام شريكاً لها في الحرب علىٰ الإرهاب. وفي تصريحات واضحة وجدنا ترحيب وزير الإعلام السوري بالضربات الأمريكية لسوريا، وتبعه وزير الخارجية بالتصريح بأن هٰذه الضربات تمت بالتنسيق مع النِّظام، وفي تسريب أن الرئيس الأسد ذاته أبدى ارتياحه لهٰذه الضربات... وقبل ذٰلكَ عندما أعلن عن قيام التحالف الدولي أطلق وليد المعلم عبارته التي دوَّخت العقل البشري عندما قال: «يدنا ممدودة للجميع، ولا مبرر لمن يريد العدوان علىٰ سوريا أن لا ينسق معنا...».

المسلسل هنا طويل أيضاً ومضحك أكثر مما نتوقع.

الخط الرابع من الخطاب هو الإنكار والإصرار علىٰ الإنكار وفي الوقت ذاته... وهو أمر غريب وأغرب من غريب. في سياق التناقضات السابقة كلها، وفي سياق وصف السوريين بالإرهابيين من النِّظام وأمنه وإعلامه وأنصاره، حَتَّىٰ قال بشار الأسد ذاته هناك ملايين الإرهابيين من السوريين ولا أتحدث عن الأجانب، كما قال بالحرف... في سياق ذٰلكَ كله نجد ثلاثة أرباع الشعب السوري مشردين ما بَيْنَ الداخل والخارج، أي الإرهابيين الذين يرهبون الدولة والناس مشردون!!! وفي الوقت ذاته تتفاقم دائرة التناقض والعجائبية بأن الأسد نفسه حَتَّىٰ الآن ينكر وجود شيء في سوريا إلا بضع إرهابيين أجانب يخربون سوريا، والإعلام السوري يؤكد أن الدنيا بخير ولا يوجد سوري خائن ولا ثورة ولا شيء حَتَّىٰ إن شعبية بشار الأسد قد ازدادت كثيراً بسبب هٰذه الأحداث كما قال مستشار الرئيس الإيراني. وكل ما يحدث ليس لا بسبب الإرهابيين الذين

ترسلهم أكثر من مئة دولة لزعزعة أمن النِّظام المقاوم الممانع عقاباً علىٰ موقفه من إسرائيل!!!

احترنا، ما الصحيح في ذَلكَ كله؟

الخط الخامس من الخطاب خط الترقيع. خط الترقيع ظهر مع بدايات الثَّورَة. في بدايات الثَّورَة قال بعض المسؤولين وكررها الأنصار بأنه فعلاً هناك مطالب محقة للشعب ولٰكنَّ العدو الصهيوني والأمريكي والصهاينة العرب... استغلوها واخترقوا المظاهرات وصاروا يطلقون النار علىٰ المتظاهرين لاتهام النِّظام بأنه يقتل شعبه، النِّظام لا يقتل شعبه، وحاول الأسد تكريس هٰذه القاعدة بأول لقاء تلفزيوني في عام ٢٠١٢م عندما قال: القائد الذي يقتل شعبه مجنون. والنِّظام لا يقتل شعبه.

هٰذا ا لخط الترقيعي بدأ يظهر في الآونة الأخير علىٰ ألسن كثيرة تقول: «لم تعد المعركة بَيْنَ الشعب والنِّظام... صارت بَيْنَ الشعب والنِّظام من جهة والإرهاب من جهة، صارت علىٰ من يسيطر علىٰ سوريا... صارت وصارت...».

في المرحلتين كلتيهما إقرار بأنَّ المعركة كانت بَيْنَ الشَّعب والنِّظام... وعندما تكون المعركة بَيْنَ نظام وشعبه فالشعب هو صاحب الحق مهما تمادى الشعب في حربه مع النِّظام...

لأن النِّظام لم يعترف بالحقيقة، ولم يرد أن يعترف بالحقيقة كان لا بُدَّ أن يقع في كل هٰذه التناقضات التي تعريه وتفضحه وتحشره دائماً في الزاوية. وكلما تمادى في عدم الاعتراف بالحقيقة وجد أنَّهُ لا بُدَّ له من التمادي في الخطأ والوقوع في التناقضات من جديد. وهٰذا تحديداً ما

يكفي وحده كي يؤجج الناس أكثر ويقطع علىٰ النِّظام أي طريق للبقاء في السلطة.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع أنَّهُ كان من المؤكَّد أنَّ النِّظام السُّوري سيفعل من دون مباركة دوليَّة كلَّ ما فعله حَتَّىٰ الآن في الشَّعب السوري وسوريا من قتل وتشريد ودمار بمختلف أنواع الأسلحة ولو كان عنده النووي لاستخدمه كما ذكرتُ قبل مجزرة الكيماوي. واحتمال أن لا يفعل ذَلكَ وارد وإن كان ضئيلاً جدًّا. ولٰكنَّ الحقيقة المرة هي أنَّهُ فعل كل ما فعل بمباركة وتأييد دولي شبه شامل بدءاً من الدول العربية مروراً بالدول الكبرى والصغرى وصولاً إلىٰ الأمم المتحدة التي هي في حقيقة الأمر صوت بضع دول أكرمها الله بالفيتو.

ولذَلك من يظن أن المجتمع الدولي والإقليمي عاد للالتفاف حول الأسد خوفاً من الإرهاب الإسلامي (حالياً الدولة الإسلامية ويتغير حسب الظروف) فهو واهمٌ. المجتمع الدولي منذ ما قبل تسلح الثَّورَة، وقبل أي انتصار للجيش الحر، وهو مع الأسد، وكل البعبات الإعلاميَّة ضحك علىٰ ذقون السوريين. ولٰكن كانت المصيبة في المحللين والمنظرين الأغبياء الذي أظهروا أنَّ الحقيقة عكس ذَلكَ وجرى الجراد وراءهم.

RAFATOOO4.NET
ايها
الشعب العظيم
عامر الزعبي

الفصل الثاني والعشرون

في سوريا مسؤول واحد فقط

من المسؤول عما يحدث في سوريا؟

سؤال من الغرابة بمكان أنَّهُ يطرح علىٰ وسائل الإعلام[٢٣]. بل إنَّ طرحه حَتَّىٰ في وسائل إعلام النِّظام ذاته أمر معيب. رُبَّما لذلك ما زال إعلام النِّظام حَتَّىٰ الآن؛ بعد تهجير أكثر من نصف سكان سوريا، قتل نحو مليون سوري، وتدمير أكثر من ستين بالمئة من البنية التحتية

(٢٣) .كتب هٰذا المقال في ٩/١١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

السُّوريَّة... بعد ذَلكَ كله ما زال إعلام النِّظام لا يعلم شيئاً عن ذَلكَ، وسوريا بخير.

من الطَّرافة بمكان أن أمريكا تدين المجرم أو تبرئه خلال ساعة واحدة؛ الحادي عشر من أيلول، أكلوهوما، السَّفارة الأمريكيَّة في نيروبي... المجرم الأمريكي الذي قتل السُّوريين في حرم الجامعة، وفي شارلي إيبدو وغيرها كثير... ولَكنَّهُم مع ذَلكَ، ومع وضوح الأدلة وضوحاً يفقأ عين المنكر والشَّاكِّ ما زالوا يقولون: يحتمل أن يكون النِّظام السُّوري هو الذي استخدم الكيماوي. بل ثَمَّة تسريبا عن توافق روسي أمريكي لتبرئة النظام السورية من الكيماوي، تأسيساً لتأهيله لمرحلة الحلِّ السِّياسي.

علىٰ أيِّ حالٍ مشكلتنا التي سنناقشها هنا ليست فيما أثرناه من نقاط. سنبحث في زاويةٍ أُخْرَىٰ أطرف من الطَّريفة فيما صار يسمَّى الأزمة السُّوريَّة. سننظر إلىٰ المسؤول عمَّا يحدث في سوريا من الدَّاخل السُّوري، من أنصار النِّظام تحديداً الذين يفصِّلون بأمزجةٍ كوميديَّة ورُبَّما كوميديَّة أكثر من قدرة العقل علىٰ الاحتمال.

الحقيقة التي يجب أن نقرها أن صارت، كثرت، تنوَّعت الأخطاء والجرائم، وصارت من أكثر من مصدر. هٰذا صحيح الآن، الآن وليس قبل عامين، وعمر الثَّورة نحو خمسة أعوام.

وفي الوقت ذاته صحيحٌ أنَّهُ تجب محاكمة المخطئين جميعاً علىٰ مختلف جرائمهم الصَّغيرة والكبيرة؛ صواريخ، براميل، قتل، سلب، نهب، قطع طريق، سرقة أموال الثَّورة، المتاجرة بالثَّورة، المتاجرة بالشَّعب، التَّهجير... كل شيء...

ولٰكن يبقى بشار الأسد هو المسؤول الأول والأخير عن كلِّ ما حدث في سوريا. ذٰلكَ أنَّهُ كما يعلم الجميع، ويجب أن يعلم من لا يعلم: في سوريا (والدُّول العربيَّة في ذلك سواء): هناك شخصٌ واحدٌ يقرُّ ويقرِّر هو بشار الأسد، وكلُّ المسؤولين ورق تواليت. والمسوؤل الذي يظنُّ نفسه غير ذٰلكَ فمن المؤكَّد أنه يرى نفسه ما يمسحه ورق التواليت. ولا يحقُّ لمسؤولٍ أن يرى نفسه أقدر أو أثمن من ورقة تواليت في شأن القدرة علىٰ الفعل أو التَّقرير أو التَّخطيط أو الاعتراض...

ولذٰلك، يضحكني أنصار النِّظام وبعض الأشخاص عندما يوجهون تهم المأساة السُّوريَّة إلىٰ الحكومة؛ كلَّما خسر النِّظام موقعاً هجموا بالسَّبِّ والشَّتيمة واللعن علىٰ وزير الدِّفاع أو رئيس الحكومة، كلما قُتل عددٌ من جنود النِّظام بدأ الرَّدح والسَّبُّ والشَّتم واللعن علىٰ الحكومة، وعلىٰ وزير الدِّفاع وعلىٰ رئيس الأركان...

هٰذا في الحقيقة غباء منقطع النَّظير وفي أحسن الظُّنون محاولة إخفاءٍ للحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها. وكأنَّ أيَّ واحدٍ منهم بيده أيُّ سلطةٍ أو قرارٍ أو قدرةٍ علىٰ أن يقول كلمةً واحدةً لا ترضي النِّظام.

من هو الوزير السُّوري الذي يمون على بيضاته في براده؟

من هو رئيس الوزراء السُّوري الذي يمون على العسكري الذي يحرس بيته أو يحرسه شخصيًّا؟

كل المسؤولين مسؤولين فقط عن غبائهم وارتكابهم الجرائم بحق الوطن والمواطن، ولٰكنَّهُم ليسوا مسؤولين عن اتِّخاذ أي قرار مهما كبر أو صغر. كان هٰذا الكلام قبل الثَّورة أصلاً، فكيف صارت بعد الثَّورة؟!

إذا كانت هٰذه حالهم قبل الثَّورة فمن المؤكَّد، وهٰذا هو الواقع، لا يجرؤون علىٰ الاعتراض محض الاعتراض علىٰ العكسري الذي يحرسهم مهما قال لهم. وأكاد أقسم لو أنَّ حارس وزير قاله له: أنت لست أنت لضحك الوزير ونهق موافقاً.

إذا كان أكبر راس في الدولة لا يملك قبل الثَّورة أكثر من ينفذ ولا يعترض فهل سيجرؤ علىٰ ما دون ذٰلكَ عندما صار أي عسكري أهم من كل الوزراء مجتمعين؟

هٰذه حقائق يعلمها الجميع ولا يجهلها سوريٌّ. فلماذا هٰذه الكوميديا السَّخيفة في توجيه التُّهم لهم في أيِّ شيءٍ يحدث في سوريا؟

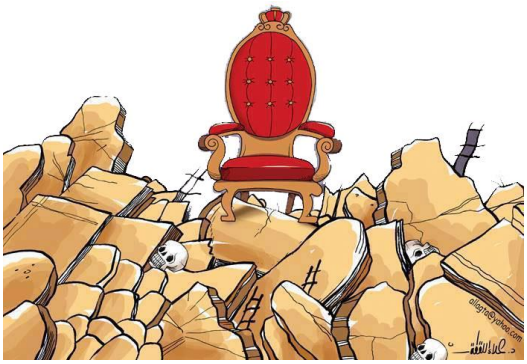

الفصل الثالث والعشرون

بشار الأسد:
انقعوا الحلول واشربوها

تتغير الدنيا كلها ولا يتغير الأَسَد[٢٤]. تتغير مواقف الأنظمة كلها ولا يتغير موقف نظام الأَسَد. تتغير مواقف البشرية كلها فرداً فرداً وجماعة جماعة ولا يتغير موقف الأَسَد. كلمة قلتها مراراً منذ بداية الثَّورة وأكررها هنا أيضاً: في سوريا لا يوجد نظام ولا دولة يوجد بشار الأَسَد، بشار

(٢٤) .كتب لهذا المقال في ١٠/٢٨/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الأَسَـد هـو النِّظـام والنِّظـام هـو بشـار الأَسَـد، بشـار الأَسَـد هـو الدولـة والدولـة هـي بشـار الأَسَـد. وبشـار الأَسَـد لـن يتغـير ولـن يغـير موقفـه ولـو أشرقت الشمس من الغرب.

بعد ضجَّة ضمانات بوتين بإجراء انتخابات وعدم ترشح الأَسَد، هٰذه الضمانات الأكيد التي جعلت رجالات ونسوانات المعارضة الأفاقين يتهافتون علىٰ موسكو لحجز كرسي في قطار الحل السياسي... وبعد الضجة العالمية حول خريطة الطريق البوتينية وتداعي الدول زرافات زرافات للاجتماع في فيينا وباريس وغيرهما للنظر في إمكانات تطبيقها وكيفيات تطبيقها نطت الرئاسة السُّورية أمس الثلاثاء ٢٠١٥/١٠/٢٧م مثل الدب وسط الحلبة وأعلنت باسم بشار الأَسَد ما يلي:

«إنَّ المبادرات السِّياسية لن تفلح في تسوية الصراع في البلاد قبل القضاء علىٰ الإرهاب». وتابع بيان الأَسَد قائلاً: «إنَّ الأَسَد أكَّد مرارا أنَّ القضاء علىٰ الإرهاب يجب أن يتم قبل أيِّ مبادرات».

وتحاشـيا لإحـراج الإمبراطـور آيـة الله أبـو علـي بـوتين أضـاف البيـان أن الأَسَـد أبلـغ وفـداً مـن روسـيا يـوم الأحـد الماضـي باسـتعداده لإجـراء انتخابـات برلمانيَّـة ورئاسـيَّة دعـا إليهـا البوتينيـون أي الـروس. يعـني لـن يخـرج بـوتين بسـواد الوجـه، وعلـىٰ أسـاس أن بـوتين نسـي أن يقـول ذَلـكَ للأسـد في اللقـاء قبـل أيـام، وأن الأَسَـد لم يقـل لـه شـيئاً في الموضـوع قبـل أيـام... ونظـراً لانقطـاع الاتصـالات في سـوريا، وكثـرة انقطـاع الكهربـاء اضـطر بـوتين والأَسَـد لاسـتخدام وسـائل الإعـلام والتواصـل الاجتمـاعي لتبيـان المواقـف والتحاور بها.

وتابع البيان الرئاسي في تأكيد حقِّ الشَّعب السُّوري بتقرير مصيره بيده من دون تدخل خارجي غير روسي وصيني وإيراني وحزبلاتي... علىٰ أساس أن الدول الأُخْرَىٰ ما شاء الله لا تعرف كيف تنام وهي تفكر في التخلص من الأَسَد ونظامه، المهم، تابع البيان قائلاً: «إنَّ أيَّ حلٍّ سياسيٍّ يحفظ سيادة الدَّولة ووحدة أراضيها ويحقن الدِّماء، ويقرِّره الشَّعب السُّوري، سيكون موضع ترحيب».

نبدأ من الخاتمة، سيكون موضع ترحيب. أكثر ما يستحقه هو أنَّهُ سيكون موضع ترحيب لا موضع تنفيذ. هٰذا أيضاً علىٰ أنَّ الأَسَد ونظامه احترم إرادة الشَّعب السُّوري ومطالب الشَّعب السُّوري، وعلىٰ أساس أنَّ الأَسَد ونظامه حافظ علىٰ سيادة الدولة وهو الحريص عليها والأمين، وهٰذا أيضاً علىٰ أساس أنَّ الأَسَد ونظامه يتقلب علىٰ الجمهر قهراً علىٰ دماء السُّوريين التي تسيل علىٰ الأرض مسفوحة منذ خمس سنوات بيد مجهولين من الجن لا أحد يعلم من هم ولا كيف يخرجون...

الحقيقة أن مناقشة هٰذا الهراء والتراهات والسخافات بل السفاهات أمر مثير للاشمئزاز والغثيان لما صارت تبدو عليه من عدم الجدوى لشدة ما يسببه وضوحها الشديد من حرج وإرباك للعقل السليم. لقد صرنا نشعر معها بأن العقل البشري مصاب بالعطب والتلف والانحراف لأنَّ أحداً لا يرها أو الأصح لا يريد أن يراه، وعدم الرغبة أو الإرادة في رؤيتها لا تنم عن عقل سليم أبداً أيضاً، أي ليست هٰذه الحال أحسن من تلف العقل البشري وعطبه فعلاً.

علىٰ أي حال، تلك مسألة كثر الكلام فيها كثيراً، وتكرار الكلام ليس يجدي. ليس يجدي ليس لأنه هو بذاته غير مجدٍ بل لأنَّ العالم غير

آبه به ولا يريد أن يعيره أي انتباه بل لا يريد ولا يقبل ولا يسمح أن يسلط الضوء عليه. وأما تكراره علىٰ السُّوريين المعنيين الوحيدين بالأمر فأمر غير ذي قيمة تقريباً لأن السُّوريين كلهم يعرفون هٰذا الكلام حق المعرفة، معرفة معاينة ومعايشة وتجريب لا معرفة سماع... ولا يحتاجون إلىٰ من يذكرهم بمأساة يعيشونها كل يوم وكل ساعة.

الذي يعنينا تأكيده، وهو غير خافٍ أيضاً، أنَّ الأَسَد لم يغير موقفه هٰذا من الحل السياسي. لا يوجد حل سياسي قبل القضاء علىٰ الإرهاب، أي القضاء علىٰ الثَّورة، لأنَّ هٰذا كان موقفه في الأيام الأولى من الثَّورة عندما كانت لا تحمل حجراً، ولا تؤذي حجراً في الشارع... عندها كانت الثَّورة إرهاب ولا إصلاح قبل القضاء علىٰ الإرهاب. وحملت الثَّورة الورد وأغصان الزيتون والماء والطعام لجنود الأَسَد ولم يتغير موقف الأَسَد بل تابع بأنه لا إصلاح قبل القضاء علىٰ الإرهاب... لا إصلاح وليس لا حل سياسي.

وحَتَّىٰ الآن الثَّورة ليست إرهاباً، والجيش الحر ليس إرهاباً، وتشكيلات الثَّورة المسلحة كلها أثبتت بما لا يقبل الشك أنَّها لا علاقة لها بالإرهاب ولا العنف لا من قريب ولا من بعيد، وتعاملت مع الأسرى أرقى تعامل، ومع أنصار النِّظام أرقى تعامل. إن أسوأ أسوأ تعامل تعاملت به الثَّورة مع أنصار النِّظام لا يساوي واحد بالمليون من سوء النِّظام في التعامل مع المدنيين العزل الذين لا علاقة لهم بالثَّورة لا مع الثوار ولا مع المسلحين. وحَتَّىٰ التشكيلات المصنفة في قائمة الإرهاب أمريكيًّا لا يعادل إرهابها كله واحداً بالمليون من إرهاب النِّظام.

كلما ظهر الأَسَد في أي لقاء أو تصريح ختم بحقيقة واحدة لا تتغير: لا حل سياسي قبل القضاء علىٰ الإرهاب. وفي هٰذا العام عام ٢٠١٥م كل شهرين يعيد الأَسَد هٰذه الحقيقة: لا حل سياسي قبل الحسم العسكري، لا حل سياسي قبل القضاء علىٰ الإرهاب...

إذن لا حل سياسي قبل عودة السُّوريين إلىٰ حظيرة النِّظام. وإذا عادوا إلىٰ الحظيرة فأي حل سياسي سيكون؟

في تصريح الأَسَد للوفد الروسي قبل ثلاث أيام قال بالحرف: «قد نجري انتخابات إذا لزم الأمر». إذا لزم الأمر. إذا كان يرى هٰذه الرؤية في هٰذا الوقت العصيب المعقد المنهار فكيف سينظر إلىٰ الأمر إذا عاد السُّوريون إلىٰ الحظيرة؟ كيف يمكن أن يتعامل مع الأمر إذا سحق الثَّورة؟

وإذا كان الأَسَد في ظل كل هٰذا التَّعقيد يرفض أيَّ إشرافٍ دوليٍّ علىٰ الانتخابات إلا مراقبة روسية إيرانية صينية مثلما كان في الانتخابات الرئاسية ٢٠١٤م... فكيف ستكون الانتخابات؟

هٰذا يعني أنَّهُ علىٰ افتراض أقام انتخابات بعد سحق الثَّورة فكيف يمكن أن تكون الانتخابات والنَّتائج؟

إذا كانت كل هٰذه المأساة قد مرَّت حَتَّىٰ الآن ولا أحد استطاع أن يفرض علىٰ الأَسَد شيئاً لا يريده فهل سيستطيع أحد أن يفرض عليه شيئاً إذا سحق الثَّورة وقضى عليها؟ هل سيستطيع بوتين أن يفي بتعهده بعدم ترشح الأَسَد؟

كثيرون يتوهمون أن القرار أمريك أو إيراني أو روسي وأنَّهُم يستطيعون أن يقنعوا أو يلزموا الأَسَد بعدم الترشح وأشياء من هٰذا القبيل، ويكثر الكلام حاليًّا في هٰذا الموضوع، وأن الجميع صار يريد الحل السياسي وأنَّهُم سيلزمون الأَسَد

وأنَّهُم وأنَّهُم... وهٰذا كله وهم... وهم من لا يفهم في السياسة ولا في الوضع السُّوري وتركيبة النِّظام السُّوري أي بشار الأَسَد.

قالها بشار الأَسَد ونظامه في بداية الثَّورة: حصلنا علىٰ السُّلطة بالدم ولن نتركها إلا بالدم. طبعاً لم يحصلوا عليها بالدَّم هٰذا كذب. ولٰكنَّهُم لا يمكن أن يتخلوا عنها وفيهم نفس يتحرك في الصَّدر. هم قالوا ذٰلكَ منذ بداية الثَّورة وكرروه كل يوم حَتَّىٰ الآن، فمن لا يعرف فليعرف، ومن لا يتابع فليتابع. بشار الأَسَد لا يمكن أن يتخلى عن السُّلطة طالما هناك سراب أمل ولو واحد بالمئة مليار. وهو ذاته قالها في تصريح قبل ثلاث أعوام فيما أذكر لوفد روسي، والتصريح جاء علىٰ لسان لافروف كما أذكر، إذا قال: لن أغادر سوريا إلا جثَّة. أي لن أغادر السُّلطة إلا جثة. لأنه علىٰ تمام اليقين أن لا يمكن أن يبقى في سوريا إلا رئيساً، لا يمكن أن يتخلى عن السُّلطة ويبقى في سوريا، هو يدرك ذٰلكَ تمام الإدراك ويثق فيه تمام الثِّقة.

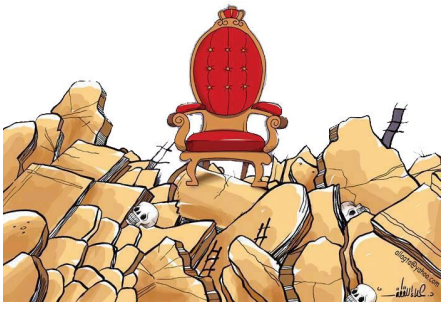

صدر من كتب المؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.

- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

الفهرس

الإهداء ٠٠٥
مقدمة الكتاب ٠٠٧
الفصل الأول: مصائب الثورة السورية الخمس ٠١١
أولاً: النظام ٠١٣
ثانياً: قيادات الثورة ٠١٤
ثالثاً: أدعياء المعارضة ٠١٦
رابعاً: المجتمع الدولي ١٧
خامساً: للمجتمع العربي ١٩
الفصل الثاني: كلام يهزُّ البدن ٠٢١
الفصل الثالث: من ثلج جنيف إلىٰ صقيع موسكو ٠٢٣
الفصل الرابع: هل يمكن المحافظة علىٰ مؤسسات الدولة؟ ٠٢٩
الفصل الخامس: الأسد يطلق النار علىٰ الحلول ٠٣٣
الفصل السادس: الأسد جزء من الحل ٠٣٩
الفصل السابع: هل يستطيع الأسد قبول الحل السياسي؟ ٠٤٣
الفصل الثامن: من الذي يمنع الأسد من التنحي؟ ٠٥١
الفصل التاسع: محاربة الثورة للمحافظة علىٰ المؤسسات ٠٥٩

الفصل العاشر: النظام ينهار ويبحثون عن حل سياسي ٠٦٥
الفصل الحادي عشر: المخطط العربيكاني في حال سقوط الأسد ٠٧٣
الفصل الثاني عشر: عندما تكون الثورة مؤامرة ٠٧٩
الفصل الثالث عشر: عودة إلىٰ الحل السياسي ٠٨٧
الفصل الرابع عشر: من الذي يريد تفتيت سوريا؟..... ٠٩٣
الفصل الخامس عشر: الأسد لا حل إلا الحسم العسكري..... ١٠١
الفصل السادس عشر: الحلول التحشيشية للثورة السورية..... ١٠٧
الفصل السابع عشر: إذا لم يرحل بشار فالمنطقة ستشتعل..... ١١٣
الفصل الثامن عشر: أنصار النظام ووليمة العميان..... ١١٩
الفصل التاسع عشر: هل تحمي أمريكا العلويين فعلاً؟! ١٢٧
الفصل العشرون: تغييب السوريين عن الحل وهم الأصل ١٣٥
الفصل الحادي والعشرون: خطاب انصار النظام بَيْنَ الأمس واليوم ١٤٥
الفصل الثاني والعشرون: في سوريا مسؤول واحد فقط..... ١٥٣
الفصل الثالث والعشرون: الأسد انقعوا الحلول واشربوها ١٥٧
صدر من كتب المؤلف ١٦٣
الفهرس..... ١٦٩

الدكتور عزت السيد أحمد

THE SYRIAN REVOLUTION AND THE FANNY SOLUTIONS

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

Publisher

The Araboc World for publishing

Amman. 2015

Emil: sameah3@gmail.com

THE SYRIAN REVOLUTION AND THE FANNY SOLUTIONS

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية والحلول التهريجية

قراءة سياسية تاريخية

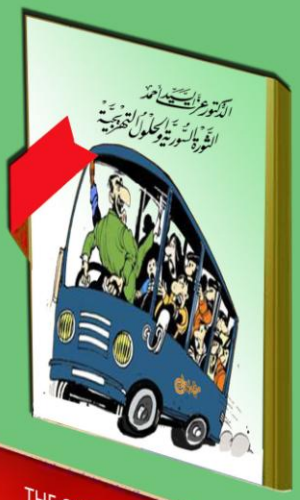

THE SYRIAN REVOLUTION
AND THE FANNY SOLUTIONS
Historical And
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

هذا الكتاب

الحلول التَّهريحية للثورة السورية رافقت الثَّورة منذ بداياتها تقريبًا. أول الحلول المقترحة كانت كانت قائمةً على التَّهريج الحقيقي.

قبل نهاية العام الأول من الثورة بدأت الحلول والمقترحات تطرح بل تفرض على الثورة السورية ثم تتالت المقترحات تباعاً من مختلف الأطراف كل من هب ودب صار يحشر نفسه ويقدم الحلول وكل الحلول كانت ومازالت تهريجيَّة بكل ما تحمل الكلمة من معنًى ودلالاتٍ.

يبدو أن كل من يقترح الحلول إما أجدب أوأهبل أو حشَّاش أو أنه يخطط بذكاء للإيقاع بالطرفين ودفع عربة القتل والتَّشريد والدَّمار إلى الأمام.

وهذا فيما يبدو هو الأرجح. ثمَّة ألعاب في الخفاء: هي لا يعنيها الأسد أوالنظام كما توحي، ولا تعنيها الثورة كما توحي وإنما غايتها تدمير ما يمكن تدميره في سوريا من كل شيء... وسار الجميع إلى الفخ طرفا سوريا والأطراف التي تتلاعب بالثورة... وسيدفع الجميع الثمن.

الناشر